المستشرق آرثر جفري، ومقدمة كتاب المصاحف

«عرضاً ونقداً»

(بحث في الانتصار للقرآن)

إعداد الباحثة

أسماء بنت محمد عبد الله السلومي

رقم الجوال (٠٠٩٦٦٥٠٤٧١٤٤١٠)

البريد الإلكتروني: asooom.n@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن من أجلّ النعم التي أنعم الله بها على عباده، نعمة إنزال القرآن الكريم نوراً وهدى للناس كما قال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾[1]، وأخبر سبحانه أنّ هذا الكتاب محفوظ بحفظ الله تعالى له إلى يوم الدين ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[2]، فقد تولى الله تعالى حفظه، ودعا إلى التمسك بحبله المتين، وصراطه القويم، فاستجاب المؤمنون به، وشغلوا حياتهم بكتاب الله تعبداً وعملاً، وانبرى جمهور العلماء -قديماً وحديثاً- يذودون من حوله سهام الطاعنين،

(١) النساء:١٧٤.

(٢) الحجر: ٩.

ويفندون شبهات الملحدين.

فهذه الشبهات هي من أخطر الموضوعات التي تهم المسلمين، فالهجوم على الإسلام يمتد إلى جبهات واسعة، تستهدف العقيدة، والشريعة، والثقافة، والماضي، والحاضر، والمستقبل لأمة الإسلام.

والسهام التي تصوب نحو القرآن كثيرة ومتعددة، وأعداء الإسلام أظهروا مكنون قلوبهم، فليس يرضيهم إلا أن يشككوا في الكتاب الكريم، فتكالبت جهود المستشرقين لنشر هذا الباطل[1]، فظهرت كتبهم المتعددة التي تطعن بالقرآن ، وتطعن في علمائنا الذين ألفوا علومه وتفسيره.

وإذا كان الأمر كذلك فمن المهم التعرف على هذه الشبهات والأراجيف التي ينشرها الأعداء، من أجل التصدي لها والرد عليها، وبيان زيفها وضلالها.

هذا من جهة ومن جهة أخرى لابد من العمل على تنقية الفكر الإسلامي، وتنقية مؤلفاته مما علق به منها، وإبراز الحقائق العلمية الثابتة، ليظهر ديننا وكتابنا، وعلمائنا بالصورة الساطعة، النقية الظاهرة.

لهذا وغيره تجيء دراسة مثل هذه الشبهات والمطاعن، والغوص في بحرها المتلاطم، ليهلك من هلك عن بينه ، ويحيى من حيي عن بينه.

فكان هذا البحث بعنوان: "المستشرق آرثر جفري، ومقدمة كتاب المصاحف" دفاعاً عن القرآن، مصدر التشريع الأول، والذي لم أدخر فيه جهدا ولا وقتاً إلا واستفرغته فيه، وأسأله سبحانه أن يجعلني من الموفقات في طرح المادة العلمية القوية، والتي تنال استحسانكم وقبوله بعد قبول رب البريات، المطلع على النيات، الموفق للمكرمات، الغافر للّزلات، هو ولي ذلك، والقادر عليه.

وتبرز أهمية الموضوع فيما يلي:

١- تعلّق هذا الموضوع بكتاب الله الكريم الذي لا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي غرائبه،

(١) ينظر: الإستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم: (٤).

كما أنّ لهذا الموضوع تعلّقاً مباشراً بدراستي في قسم التفسير وعلوم القرآن الكريم، وأرجو من الله تعالى أن يعلّمني ما ينفعني، وأن ينفعني بما علّمني.

٢- معرفة أقوال المستشرقيين ومطاعنهم في القرآن بحيث يجعل القارئ على إلمام بالشبهات التي يدسونها في القرآن وعلومه.

٣- إن في هذا البحث عرض أقوال المستشرق آرثر جفري ونقد آرائه نقدا علمياً موثقاً، وفي هذا إبراز لجانب مهم وهو تقويم تلك الدراسات الاستشراقية، والرد عليها، وإظهار الحق والحقيقة للقرآن وعلومه.

والله أسأل التوفيق والسداد، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

* * *

خطة البحث

يتكون من مقدمة، وتمهيد، ومبحثان، وخاتمة، وفهارس وفق الترتيب الآتي:

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع ، وخطة البحث، ومنهج الكتابة فيه.

التمهيد: وفيه عن المستشرقون والقرآن الكريم .

المبحث الأول: المستشرق آرثر جفري وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ترجمة المستشرق د. آرثر جفري.

المطلب الثاني: أهداف ومقاصد المستشرق آرثر جفري في تحقيقه لكتاب المصاحف.

المبحث الثاني: عرض ونقد أقوال المستشرق آرثر جفري في مقدمة تحقيقه لكتاب المصاحف . وفيه سبعة مطالب .

المطلب الأول: حول جمع القرآن، وترتيبه.

المطلب الثاني: حول مصاحف الصحابة.

المطلب الثالث: حول اختلاف الناس في القراءة.

المطلب الرابع: حول جمع عثمان بن عفان ﷺ.

المطلب الخامس: حول نشأة القراءات من خلو مصحف عثمان من النقط والشكل.

المطلب السادس: حول القراء السبعة.

المطلب السابع: حول انتشار قراءة حفص عن عاصم -رحمهما الله-.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها بعد هذه الدراسة.

الفهارس: وتتضمن الفهارس الآتية:

١- فهرس المصادر والمراجع.

٢- فهرس الموضوعات.

طريقة عملي ومنهجي في البحث

لقد سرت في كتابة هذا البحث على النهج التالي:

أولاً: قرأت نص المستشرق آرثر جفري قراءة مستبصرة، واستخلصت مضمونه ومراده في مقدمته.

ثانياً: استخرجت الشبهات والمطاعن التي تلفظ بها، أو أشار إليها، بذكر العنوان الذي اختاره ثم اختصرت مراد قوله في كل شبهة لتدل على مضمونها.

ثالثـــاً: ذكرت قول المستشرق إما بنصه -وهو الغالب- أو أكتفي بذكر النص المبين أو المتضمن الشبهة إن كان طويلاً، وأشير إلى ذلك في الحاشية.

رابعـــاً: درست هذه الشبهة دراسة مستوفية ثم رديت عليها -حسب ما أدى إليه نظري واجتهادي مستنيرةً بأقوال العلماء السابقين- و الله أسأل أن ينير بصيرتي إلى الحق.

خامساً: كتبت الآيات بالرسم العثماني برواية حفص عن عاصم وجعلتها بين قوسين مُزهرين ﴿﴾.

سادساً: خرجت الأحاديث وعزوتها إلى مصادرها الأصلية وجعلتها بين قوسين هلاليين ( ).

سابعاً: وثقت النقول والأقوال وجعلتها بين قوسين صغيرين " "، وإذا حذفت شيئاً من النص المنقول وضعت مكانه نقطاً هكذا ...، وذكرت في الحاشية "اسم الكتاب والجزء والصفحة التي فيها بداية النص إن كان من عدة صفحات"، وأخرت ذكر معلومات الكتاب إلى فهرس المصادر والمراجع.

ثامناً: لم التزم بترجمة الأعلام الوارد ذكرهم في البحث، وهو رأي فضيلة بعض مشائخنا معللين ذلك بقوله أن الأبحاث المحكمة تكون خالية من ذلك، إذ الأعلام في مجال

تخصصنا في الغالب أنهم معروفين ومشهورين، وهو جهد هدر، لا نفع فيه ولا ثمر[1].

وأخيراً: ذيلت البحث بفهارس كاشفة لتيسير الوصول إلى المعلومة، وعلى الترتيب الهجائي.

وختاماً: فلست مدعية أن صنيعي في بحثي هذا يصل إلى الكمال كلا وحاشا، ولكني حاولت -يعلم الله- قدر إمكاني، ووسع طاقتي أن يكون قريباً منه، ولقد قال أحد السابقين: « إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابه في يومه إلا قال في غده: لو غيّر هذا لكان أحسن، ولو زِيد هذا لكان يُستحسن، ولو قُدّم هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر»[2].

فإن كنت قد أصبت فبتوفيق الله وحده، وله المنة والفضل، وإن كنت أخطأت فمني والشيطان -نعوذ بالله منه-، وأستغفر الله إنه كان غفاراً .

سائلة ربي أن ينفعنا ويرفعنا بالقرآن العظيم ،وأن يوفقنا إلى الذب والدفاع عن الكتاب المبين ، وأن يرزقنا إخلاص النية وقبول العمل، وأن يجنبنا مواطن الردى والزلل

هو حسبي ونعم الوكيل، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،،

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

كتبته:

أسماء بنت محمد بن عبدالله السلومي

١٤٣١/٢/١هـ

(١) واستثنى من ذلك: إذا كان الأعلام غير معروفين ولا مشهورين وليسوا من نفس تخصص العلم الذي بين أيدينا، كما استثنى رجال الحديث والسند الذين يتوقف على معرفتهم الحديث ودرجته.

(٢) كتب هذا أستاذ البلغاء القاضي الفاضل عبدالرحيم البيساني إلى العماد الأصفهاني معتذراً عن كلام استدركه عليه. ينظر: كشف الظنون: (١/ ١٧).

تمهيد
المستشرقون والقرآن

تناول كثيرٌ من المستشرقين القرآن الكريم بدراسات متخصصة في تاريخه وتدوينه ومختلف علومه وأحكامه وأساليبه وتشريعاته، وبدراسات عامَّة عن القرآن الكريم في سياق تاريخي أو وصفي، أو موضوعات أخرى.

ولا شك أن للمستشرقين منهجاً متبعاً في دراساتهم ، والمعلوم أن أيّة دراسة، تتوقف على قيمة المصادر والروافد المعتمدة؛ إذ هي القاعدة المغذية والمادة الخام التي ترتكز عليها الدراسة، فكلما كانت المصادر رئيسة وأصيلة وذات علاقة مباشرة بالموضوع، كانت الدراسة أقرب إلى حصول المراد المنشود والمبتغى المقصود من طرف الباحث، والعكس بالعكس.

وفي إطار البحث عن المستشرقين يتبين أن المنهج المتبع في انتقاء المصادر يقوم على ضبط الموضوعات المرتبطة بالقرآن لأن المنهج يتنوع ويختلف تبعاً لطبيعة الموضوعات المطروحة من جهة، ولمدى موضوعية المستشرق وأمانته العلمية أو حياده على الأقل في توظيف تلك المصادر والنقل عنها من جهة ثانية.

فهناك نوع خلل منهجي ينال أحيانا بعض دراسات المستشرقين في هذا المضمار؛ ولعل أبرز مواطن الخلل التي يمكن الإشارة إليها ما يلي:

الأول: اعتماد غالب المستشرقين على عدد معين ومحدود من مصنفات علوم القرآن دون غيرها.

وهذا أمر يمكن أن يلاحظه كل من تتبع بدقة بعض دراسات القوم في مجال القرآن، فعدد المصنفات العربية المتعلقة بعلوم القرآن المعتمدة من طرف المستشرقين محدود جداً، وهي في معظمها كتب جامعة لم تتحر الصحة والنقد والرواية السليمة، وهكذا نجد أن جفري في مجال جمع القرآن الكريم لا يتجاوز كتاب المصاحف لابن أبي داود[1]، في

(١) ينظر: كتاب المصاحف، تحقيق: آرثر جفري (١٠)، حيث يقول: ونظرة قصيرة في كتاب المصاحف لابن أبي داوود تمكننا من الوصول إلى أول مراتب البحث.

حين لا نجد عنده اعتمادا يذكر على الروايات الصحيحة الواردة في كتب الصحاح والسنن أو في مقدمات أمهات التفاسير (كمقدمة ابن جزي ، ومقدمة القرطبي وغيرها).

من جهة أخرى يلاحظ أن المصنفات المعتمدة لدى المستشرقين المعاصرين هي نفسها التي كان يعتمدها أسلافهم من المستشرقين القدامى، وذلك بالرغم من صدور كثير من الكتب الموثوق بها والمعتمدة في علوم القرآن، وهذا أمر يسهل التأكد منه من خلال الاطلاع على المراجع المعتمدة لدى المستشرقين المعاصرين مقارنة بما جاء لدى القدامى منهم. وبذلك يمكن القول بأن حصر المصادر ونوعيتها يكاد يكون تقليداً في البحث الاستشراقي،وهو يرمي إلى الإبقاء على الشبهات والافتراءات نفسها التي نهجها المستشرقون الأوائل، وذلك عن طريق الإشارة إلى الاقتباسات والإحالات ذاتها ثم الاستنتاجات والافتراضات نفسها، وهو ما يلاحظ من خلال كتاب نولدكه (Noldeke)، (تاريخ القرآن) الذي هو مؤلف مبسوط عن ظاهرة الوحي المحمدي وجمع المصحف درج على منواله المستشرق جفري في عدد من كتاباته و بلاشير في (مدخل إلى القرآن).

الثاني: انتقاء الروايات الضعيفة والمنقطعة من مصادر علوم القرآن.

يكاد يتفق منهج المستشرقين العام في الدراسات القرآنية على تعمد اختيار الأخبار الضعيفة والروايات المنقطعة في بطون المصادر العربية قصد بناء أحكامهم عليها، والتدليل بها على مقاصد وأغراض معينة.

ولقد وجد المستشرقون في كتب معينة ما أفادهم في ضرب بعض الروايات ببعض قصد التشكيك في صدق النبوة ، كما أنهم قد يعتمدون على بعض الروايات المنقطعة التي -بحسبهم- قد تنقض ما هو مشهور ومعروف لدى المسلمين عن تاريخ النص القرآني، إن جفري قد وجد فيما أورده ابن أبي داوود في كتابه من روايات مختلفة ومتباينة عن أول من جمع القرآن الكريم باباً يَلِجه، لكي يعرض أمام القراء جملة من الروايات الضعيفة التي تسند الأولية في جمع القرآن تارة إلى عمر ﷺ، وتارة إلى غيره ، وينقل عن ابن أبي داود

أيضا روايات أقل ما يقال فيها أنها مخالفة ما هو أقوى منها[1].

فمختلف هذه الروايات الضعيفة والمنقطعة تتعارض مع ما جاء في صحيح البخاري من أن أول مَنْ جَمَعَ القرآن هو أبو بكر الصديق ﷺ[2]. وقد وجد معظم المستشرقين في كتاب "المصاحف" لابن أبي داود (ت ٣١٦هـ) ضالتهم المنشودة، ومعروف عن ابن أبي داود أنه كان يجمع كل ما بلغه في شأن جمع القرآن واختلاف مصاحف الصحابة دون تمحيص أو تثبت ومعلوم أن ابن أبي داود قال عنه العلماء: (ثقة غير أنه كثير الخطأ في الكلام على الحديث) (ان أباه أبا داود كذّبه)[3] إلا أن جفري ومن معه من المستشرقون لا تهمهم هذه ولا يرضون بها [4].

إذ بحسبهم اختبروا أحاديثه على قاعدة البحث الجديدة فوجدوها صحيحة صادقة، وإنّ قاعدة البحث الجديدة هذه لدى المستشرقين حول القرآن هي صحة كلّ ما يثبت عدم ثبوت النصّ القرآني وتبدّله على مرّ العصور!!!

الثالث: إهمال المصادر القرآنية الأصيلة والاحتفاء بدراسات المستشرقين السالفة.

يبدو أن من أخطاء منهج المستشرقين في اعتماد مصادر ومراجع معينة يتعمدون عدم الاكتراث بما سواها؛ لهذا نجد أن المستشرق الذي يسعى إلى فرض فكرة معينة وتكريسها لا يلقي بالاً إلى المصادر التي تدل مضامينها على نقيض ما يذهب إليه، وهو يعمد في الغالب إلى تقديم كتب ثانوية وغير موثوقة على ما هو معروف من كتب موثوقة ومعوَّل عليها، وهذا المنهج الخاطئ كفيل بأن يؤدي إلى نتائج مغلوطة وخاطئة أريد لها أن تكون كذلك.

(١) ينظر: كتاب المصاحف، تحقيق: آرثر جفري (٥)، حيث يقول: " إن عثمان ﷺ إنما أتم ما ابتدأ به عمر ابن الخطاب ﷺ من جمع القرآن ".

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، حديث رقم (٤٩٨٦).

(٣) ينظر: ميزان الاعتدال للذهبي: (٢/ ٤٣٣)، وطبقات الحفاظ (٣٢٥).

(٤) ينظر: كتاب المصاحف، تحقيق: آرثر جفري (١٢).

ويبدو أن من أعظم أخطاء هذا المنهج المتمثل في عدم ترتيب المصادر حسب موثوقيتها وقيمتها تقديم كتب المستشرقين على غيرها من كتب العلماء المسلمين الأوائل في نقل الروايات، والنصوص القديمة.

فمثلاً: ما يقوله آرثر جفري في مقدمة كتاب المصاحف: عن نولدكي (Noldeke) في كتابه المشهور المسمى (تاريخ القرآن) ... وقال عنه: "أنه أساس كل بحث في علوم القرآن في أوربا .. ثم قال: فنكتفي بعرض نتائج أبحاثهم إفادة للقرآء .. وذكر أهم النتائج التي ذهب إليها وقالها زميله نولدكي[1].

ويعد لجوء المستشرقين إلى الإحالة على كتب زملائهم السابقين أولاً، ثم الإشارة بعد ذلك إلى المصادر العربية الأصيلة أمراً يكاد يكون مطرداً.[2]

وفي كل ما سبق سنجد بالتفصيل والوضوح ما ذُكر في كلام المستشرق آرثر جفري وأنه يسعى إلى التشكيك بما هو قطعي ومتواتر، كما أن ملايين النسخ من المصاحف المطبوعة في مختلف بقاع العالم تنطق بهذا، إضافة إلى خاصية الحفظ في الصدور التي تميز الأمة الإسلامية، والتي تؤكد أن حفظ القرآن عن ظهر قلب بالسند المتصل إلى رسول الله ﷺ أكبر دليل على موثوقية النص القرآني وحفظه من كل زيادة أو نقصان، وسيرد في هذا البحث — بمشيئة الله تعالى— شيئاً من هذا التشكيك عند آرثر جفري، والله أسأل أن ينير بصائرنا، ويفتح على مغاليق قلوبنا هو ولي ذلك والقادر عليه.

(١) ينظر: كتاب المصاحف، تحقيق: آرثر جفري (٤).

(٢) ينظر: مناهج المستشرقين البحثية في القرآن الكريم للدكتور حسن عزوزي: (١٣).

المطلب الأول : ترجمة المستشرق آرثر جفري

أولاً: اسمه وأعماله :

د. آرثر جفري (Arthur Jeffery) معروف بتعصبه ضد الإسلام مستشرق أسترالي، ولد في ١٨ أكتوبر ١٨٩٢، بروفيسور في اللغات السامية، كان من محرري مجلة العالم الإسلامي التبشيرية وأبرز كتابها، وقد بعث للعمل في الجامعة الأمريكية في بيروت ثم للتبشير في أمريكا اللاتينية، ثم إلى معهد الدراسات الشرقية بالقاهرة[١].

مستشرق معاصر من مدرسة الاستشراق الإنجليزي، ذو اهتمامات بالدراسات الإسلامية، وبخاصة فيما يتعلق بالقرآن.[٢]

له عدة جدليات ضد القرآن الكريم وأصالته، نشر بعضها في مجلة العالم الإسلامي التبشيرية ١٩٣٥م، ونشر بعضها في كتابة مصادر تاريخ القرآن[٣]، وأودع بقيتها في مقدمة تحقيقه لكتاب المصاحف الذي بين أيدينا[٤].

ثانيا : مراحل حياته العملية :

ونستطيع أن نقسم حياته إلى مراحل :

المرحلة الأولى: من مولده في Melborne بأستراليا عام ١٨٩٢م إلى مسقل عام ١٩٢١م .

وفيها كان جفري راهبا تابعا للكنيسة البروتستانتية،وهي التي نقلته من أوستراليا للعمل في (المعهدالمسيحي Madras Christian Collège) بولاية مدارس في الهند

(١) ينظر: ماذا يريد الغرب من القرآن (١٣٨) والشبكة العنكبوتية على الرابط:
.html٧٣٢٦٩http://montada.echoroukonline.com/archive/index.php/t-

(٢) ينظر: المستشرقون والقرآن: (٢٥) وقد بحثت عن ترجمه له في موسوعة المستشرقين فلم أجد له ترجمة.

(٣) هذا كتاب آخر ألفه، ولم أجد من ذكره سوى المؤلف د. عدنان وزان ينظر: الاستشراق والمستشرقون: (١٠٢).

(٤) ينظر: ماذا يريد الغرب من القرآن (١٣٨).

حيث اشتغل بالتنصير(ولانقول التبشير) زمن الاحتلال الانجليزي،وفي هذه المرحلة لم يبد اهتماما خاصا بالقرآن.

المرحلة الثانية: تبتدئ عام ١٩٢١م،فقد أراد مدير الجامعة الأمريكية بالقاهرة آنذاك المسيحي البروتستانتي شارل واتسون C.Watson إحداث نواة بحث في القرآن فاستدعى للعمل بها آرثر جفري A.Jeffery من ولاية مدارس بالهند،ولأن جفري لم يكن له اهتمام كبير بالقرآن وقتئذ، فلأجل أداء مهمته التصق ببعض المستشرقين الألمان المتخصصين الذين كانوا معارين لجامعة فؤاد (جامعة القاهرة الآن) من جامعة ميونيخ، وأبرز هؤلاء وأكثرهم تأثيرا في جفري د.جوتهلف براجستراسر تـــ١٩٣٣ وقد انخرط جفري تبعا لذلك في مشروع أكاديمية العلوم البافارية (في ميونيخ) المتعلق بـــ"توثيق القرآن" - بزعمهم- ومن هنا جاء احتفاله بكتاب المصاحف لابن أبي داود وبما سمي "مختصر شواذ القراءات" لابن خالويه الذي هيئه للطبع براجستراسر قبل أن يعاجله الموت فطبعه جفري ١٩٣٤م بعد كتابة مقدمته...وخلال هذه الفترة ظل جفري يتردد صيفا على أكسفورد بانجلترا التي حصل فيها من جامعة أدنبرة على الدكتوراه ١٩٢٩م،لكن ظروف الحرب الثانية جعلته يغادر القاهرة إلى انجلترا ومنها إلى الولايات المتحدة التي استقر بها إلى قبيل وفاته.

المرحلة الثالثة: تبتدئ ١٩٣٨م حين أصبح أستاذا للغات السامية بكلية الفلسفة بجامعة كولمبيا الأمريكية ثم فيما بعد مسؤولا عن (قسم لغات الشرق الأدنى والأوسط) حين استقل القسم عن الكلية السالفة.

ولأن جفري ثكل في أهم تلاميذ براجستراسر وهو أوتو بريتزل الذي قتل في الحرب العالمية ١٩٤١م،

بل لم تبق له الحرب من أساتذة ميونيخ سوى مستشرقا يافعا هو أنطون سبيتلار فقد سقط في يده... ثم ازدادت نكبته حين علم بتدمير الجيش الانجليزي لمدينة ميونيخ ومعها أكاديمية العلوم البافارية عام ١٩٤٤م...، وهنا انتقل جفري من الاهتمام بمخطوطات

المصاحف والقراءات فقط إلى الاهتمام أيضا

بالتأليف فنشر بالانجليزية:

أصول القرآن:دراسات كلاسيكية في الكتاب المقدس للاسلام.

الخطاب الصوفي في القرآن

موارد في تاريخ القرآن

المفردات المعربة في القرآن...

وصرف اهتمامه عن مشروع أكاديمية ميونيخ لـ"توثيق القرآن" – أي تحقيقه كما حقق المستشرقون

كتاب الأغاني والفهرست... بزعمهم- وهو المشروع الذي عمل فيه أستاذه براجستراسر .

ثالثاً: وفاته .

توفي في النصف الثاني من القرن العشرين بـ ايكوس Ecosse الجديدة في كندا عام ، وبالتحديد ٢ أغسطس ١٩٥٩م.[1]

(١) ينظر: ماذا يريد الغرب من القرآن (١٣٨).

المطلب الثاني: نظرة عامة عن مقاصد المستشرق:

لقد حاول المستشرق من خلال مقدمة كتاب المصاحف تبني دعوى تطور القرآن الكريم عبر التاريخ، فسوَّى بذلك بينه وبين الكتب السابقة، متغافلاً عن أسباب الحفظ التي هيأها الله سبحانه للقرآن الكريم، تلك الأسباب التي لم تتهيأ لتلك الكتب فأصابتها يد التحريف والتبديل. وهو يقيس القرآن الكريم على الكتب السابقة، ويطبّق المعايير التي ساروا عليها في تقويم هذه الكتب على القرآن الكريم يقول د. إسماعيل عبد العال: "إن منهج الشك الذي اتخذه آرثر جفري وإخوانه المستشرقون إن صح في دراسة الكتب المقدسة السابقة على القرآن، فإنه لا يصح في دراسة القرآن الكريم"[1].

وهو في ذلك ينطلق من منطلقات التشكيك، مبتعداً كل البعد عن الإنصاف والنزاهة، مع إنكار لجهود علماء الإسلام، وعدم فهم النصوص أو التفسير الخاطئ لها، بل وتحريفها حتى توافق ادعاءاته؛ لذا فقد جاءت شبهاته ضعيفة، لا تقوم على أساس علمي أو تاريخي متين، فكان أن تهاوت أمام الحق، الذي عُنيت بإيراده.

ومن خلال ما كتبه جفري في مقدمة كتاب المصاحف نجد محاولات شتى للطعن في القرآن، والزعم أنه ليس قرآنا واحدا، نظراً لاختلاف المصاحف، وقد حاول أن يثير مزاعمه حول جمع القرآن، وتدوينه، وترتيبه، ورسمه، ونقطه، وشكله، وقراءاته، وغير ذلك من التلبيس، والتسور على العلم، والعلم منه براء.

ولم يرضَ المستشرق بالنشر الكثير لتفسير القرآن وبيان أحكامه وعلومه المتعددة، والمتباينة!! لأنه لا يرضيه من البحث حول القرآن إلا الذي (حصل له من التغيير والتحوير) لما فيه من التشكيك بثبوت النصّ القرآني الّذي بأيدينا، وقد وجد بغيته في الروايات الّتي أورد خلاصتها واستنتج منها تطور النصّ القرآني وتحوله، وللسبب نفسه نشر كتاب اختلاف المصاحف لابن أبي داود لأن هذا الكتاب يوصله إلى أوّل مراتب هذا

(١) ينظر: المستشرقون والقرآن: (٤٠).

البحث كما قال[1].

ونتيجة هذا البحث عنده: إن القرآن قد تغيّر وتبدّل منذ عصر نزوله إلى عصور الطبع مرّات متعددة، ولتأييد قوله هذا نشر أسماء الكتب الّتي يستفاد منها اختلاف المصاحف بعضها مع بعض على مرّ العصور وقد بان زيف ما استند إليها في مبحث اختلاف المصاحف بهذا الكتاب.

لكن آرثر جفري بتحقيقه هذا الكتاب أراد إحياء فتنة أخمدها عثمان ﷺ حين جمع الناس على المصحف الإمام، وقد حاول بالملحق الكبير (الذي ألحقه بكتاب المصاحف) الذي ضمنه قراءات تفسيرية شاذة، أو ما يرجع إلى اختلاف الضبط والشكل؛ ليوهم أن هناك قرآنا غير القرآن الذي بين يدينا، وأن المصاحف كانت مختلفة فيما بينها، معتمدا على هذا الكتاب، متصوراً أن القرآن مر بمراحل تطورية كالتي مرت بها التوراة والأناجيل من قبل ، لكن إذا صدق هذا على الكتب السابقة ، فلن يصدق على القرآن؟؟.

* * *

(١) ينظر: كتاب المصاحف، تحقيق: آرثر جفري (١٠).

المبحث الثاني: عرض ونقد أقوال المستشرق في مقدمة المصاحف وفيه سبعة مطالب

تمهيد المستشرق: وقفات ونظرات

بداية أود أن أبين أن الرد على شبهات المستشرقين مؤصلة في الكتاب والسنَّة ومؤصلة فيما ألفه علماء الأُمَّة خلال تاريخها القديم والحديث، لذا فإنني سأسير على مسارهم وانتهج نهجهم قدر طاقتي، وقد جعلتها وقفات أسأل الله تعالى أن يسددني فيها إلى صواب القول، وإلى القول الصواب هو ولي ذلك والقادر عليه.

الوقفة الأولى: حول تاريخ القرآن .

قال المستشرق: (نتقدم بهذا الكتاب للقرّاء على أمل أن يكون أساسا لبحث جديد في تاريخ تطور قراءات القرآن..)[1].

قلت: ليس لقراءات القرآن الكريم من تطور، وإنما هي قراءات متواترة ثابتة لا تتبدل ولا تتغير منذ أن نزلت على رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا، والقرآن كلام أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير، وكلام الله يستحيل أن يلحقه تطور قال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[2]، فآياته نظمت نظماً محكما لا يلحقه تناقض ولا خلل.

إن من مقتضيات لفظ "التطور" ومقوماته اعتبار الظروف والملابسات التي تؤثر في الشئ ويراد به التنقل من طور إلى طور ومن حال إلى حال ومنه تطور المُلك[3] كما أنها توحي بأن هناك قديم وحديث وهذا لم ولن يحصل في القرآن الكريم وقراءاته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

(١) ينظر: مقدمة كتاب المصاحف للمستشرق آرثر جفري (٣).

(٢) هود: ١.

(٣) ينظر: التعاريف للمناوي: (١/ ١٨٣).

وعلماء الإسلام يجمعون على أن التطور في القرآن مستحيلا عقلا وشرعا، لذلك لم يبحث هذا الموضوع بالتحديد، لأنهم يعتقدون أن القرآن لم يتطور لأن التطور محال في القرآن، إن هذا الأمر خطير لأنه يتعلق بأصل من أصول الإسلام، وأي شئ أخطر من هذا التطور المزعوم الذي يوقع المسلمين في الشك والارتياب في كتابهم العزيز[1].

قال المستشرق: (نشر في أيامنا هذه علماء الشرق كثيرا مما يتعلق بتفسير القرآن وإعجازه وأحكامه ولكنهم إلى الآن لم يبينوا لنا ما يستفاد منه التطور في قراءاته، ولا ندري على التحقيق لماذا كفّوا عن هذا البحث في عصر له نزعة خاصة في التنقيب عن تطور الكتب المقدسة القديمة وعن ما حصل لها من التغيير والتحوير ونجاح بعض الكتاب فيها..)[2].

يظهر من هذا القول أمور منها:

الأول: أن علماء المسلمين ألفوا كثيراً في تفسير القرآن وبلاغته وإعجازه.

الثاني: ينسب المستشرق في الوقت ذاته القصور إلى علماء المسلمين في أنهم لم يبينوا تطور القراءات، وهذا قصور علم منه؛ لأن العلماء –رحمهم الله– وقفوا عند الثابت والواجب وقوف تمثل وانقياد، حسبما أقرأهم ولقنهم ، وألزمهم به ﷺ، وكان موقفهم كموقف رسولهم المبين صراحة في القرآن: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[3]. وهو حيران في السبب الذي من أجله أغفلوا هذا الجانب المهم –في نظره– فلماذا كفوا عن البحث في تطور كتابهم؟

الثالث: يزعم المستشرق ويبين أن علماء التوراة والإنجيل بحثوا عن تاريخية كتبهم وتطور

(١) ينظر: المستشرقون والقرآن الكريم للدكتور محمد أمين بني عامر: (٣٠٥).
(٢) ينظر: مقدمة كتاب المصاحف للمستشرق آرثر جفري (٣).
(٣) يونس: ١٥.

تلك الكتب المقدسة القديمة عندهم، وهو بهذا يحاول أن يفرض فهمه على فهم المسلمين لكتابهم ويتصور أن ما حدث لكتابهم يمثل قاعدة لكل الكتب الأخرى. ويخطئ آرثر جفري حين يتصور أن تاريخية التوراة والإنجيل تحتم أن يكون القرآن أيضاً كتاباً تاريخياً ، وهو يريد بقوله أن يحضّ علماء المسلمين على البحث عن تطور كتابهم، كما حصل للكتب السابقة من التغيير والتطور–على حد قوله–، وأقول حصل لها التحريف والتخريف، وقد جد واجتهد علماء الغرب بما ليس له محل للإجتهاد ليثبتوا تاريخية القرآن، ويضعوه في مصاف الأعمال ذات المراحل التطورية المتعاقبة، بما يعني ذلك من دمغ له بالبشرية تصنيفا وتطويراً، ويسدوا العجز والنقص الذي لم يتطرق له علماء الشرق بزعمهم الواهي، فألفوا وصنفوا كتب عديدة في تاريخ القرآن، وقد ابتدأت دراساتهم مع صدور كتاب من أوائل القرن التاسع عشر أصل القرآن لنولدكي إلى منتصف الثاني من القرن العشرين، كان منها:

١- تاريخ القرآن، للمستشرق الفرنسي بوتيه (١٨٠٠ ــ ١٨٨٣م)، باريس ١٩٠٤م.

٢- التطور التاريخي للقرآن، إدوارس، مدارس الهند (١٨٩٨م).

٣- القرآن، فلهاوزن (١٨٤٤ - ١٩١٨م) مقال بالمجلة الشرقية الألمانية عام (١٩١٣م).

٤- مدخل تاريخي نقدي إلى القرآن للمستشرق الألماني جوستاف فايل (١٨٠٨ - ١٨٨٩م).

٥- تاريخ القرآن، للمستشرق الألماني نولدكه (١٨٣٦- ١٩٣٠م)، ووضع رسالة الدكتوراه بعنوان "أصل وتركيب سور القرآن"[1].

قال بعد ذلك: (...[2] ولا يخفى على المطّلع أن علماء النصارى وعلماء اليهود

(١) ينظر: المستشرقون والقرآن الكريم للدكتور محمد بني عامر: (٣٠٧).
(٢) فمن منا يجهل مبلغ سرور علماء الغرب حين عثروا على بعض القطع القديمة من القرطاس=

قد جدوا منذ جيلين في طلب تحقيق تاريخ الإنجيل والتوراة وأنهم فازوا بنتائج باهرة كان لها أثر عظيم في تفسير هذين الكتابين وتأويلهما، وأما القرآن فلم نجد شيئا من هذه الأبحاث فيه سوى كتاب واحد بسيط وهو كتاب تاريخ القرآن لأبي عبدالله الزنجاني الذي طبع حديثا في مصر)[1].

ويرد عليه بأن هناك فرقا كبيرا بين التوراة والأناجيل باعتبارها كتبا سماوية تطرق لها التبديل والتغيير كما يشهد لذلك تاريخها وتعدد نسخها ، بخلاف القرآن الكريم فإن تاريخه معلوم مشهور بدأ منذ نزول الآية الأولى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[2]، وتم واكتمل بتمام الوحي الإلهي ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[3]، فليس للقرآن تاريخ سابق على نزوله، وليس له تاريخ لاحق على تمام نزوله ويتلخص تاريخه المعلوم منذ نزوله على النبي الأمين إلى كونه كتابا بين أيدينا فيما يلي[4]:

١- نزل القرآن الكريم من عند الله تعالى إلى النبي ﷺ، بواسطة جبريل أحد الملائكة المقربين الكرام، قال الله تعالى عن ذلك: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾[5]، وكان عليه الصلاة والسلام

والبردى التي حفظت لنا آيات وأسفارا من التوراة أو الإنجيل ... كانت بفضل رمال مصر محفوظة من البلاء والدثور مع طول الزمن. ينظر: مقدمة كتاب المصاحف للمستشرق آرثر جفري (٣).

(١) ينظر: مقدمة كتاب المصاحف للمستشرق آرثر جفري (٣).

(٢) العلق: ١.

(٣) المائدة: ٣.

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن: (١/ ٢٢٨)، الإتقان في علوم القرآن: (١/ ١١٧).

(٥) الشعراء: (١٩٢- ١٩٥).

يحرك به لسانه ويحاول حفظه حين تلقيه مخافة نسيانه، إلا أن الله تعالى تكفل بحفظه فقال: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ، إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾[1].

٢- أمره ﷺ بكتابة هذا القرآن الذي أنزل عليه فكان كتاب الوحي يكتبونه على العسب واللخاف .. إلى أن اكتمل نزول القرآن، فلم يقبض ﷺ إلا والقرآن محفوظاً في الصدور، ومحفوراً في السطور إلا أنه لم يجمع في صحيفة واحدة.

٣- بعد وفاته ﷺ وفي عهد أبي بكر ﷺ جمعت هذه الصحف وأعيد كتابتها من الصحابي زيد بن ثابت ﷺ وكان هناك شروطاً لتلك الكتابة[2] وجعلت بين دفتين.

٤- بقيت بتلك الصورة إلى أن أمر عثمان ﷺ بنسخه عده نسخ وأرسل لكل مصر بنسخة من المصحف، ومعه قارئ يقرأ للناس كما قرأ رسول الله ﷺ .

وإن كان المستشرق يريد بقوله (تاريخ القرآن) تاريخية النص القرآني، ومساهمة البشر فيه، وتسلل النقص والخلل فيه كما حصل للكتب السابقة حيث وصفوها بأرقى إنتاج إنساني متطور عبر العصور؛ لأنه لم يُؤَلَّف دفعة واحدة أو بقلم واحد، بل مرَّ بمراحل تطور تاريخية وأدبية يمكن رصدها وتحليلها، حيث مرّ في مرحلة تكوينه: تأليفًا وجمعًا وتثبيتًا، بما يزيد على ألف عام بالنسبة للعهد القديم، وما يقارب نصف الفترة بالنسبة للعهد الجديد، وفي تلك الرحلة الطويلة تغيرت المضامين الدينية عبر مراحل التطور، وتغير البناء التركيبي للنصوص أدبيًّا ولغويًّا[3]، يريدون أن يحصل هذا للقرآن؛ ولن يحصل فالنص مكتمل ومنتهي منذ توقف الوحي عن النزول. يقول د. محمد عبدالله دراز: "يبدو أن المبشر الإنجليزي (آرثر جفري) قد وقع تحت تأثير التاريخ المسيحي الذي ألف دراسته، إلى درجة أنه يكاد يكون قد نقله بأحداثه الكاملة أثناء بحثه في المجال الإسلامي. فالواقع أنه يحاول أن يثبت أن النص القرآني قد مر بأطوار تشبه من جوانب كثيرة ما مر به

---

(١) القيامة: (١٦-١٧).

(٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: (١/ ١٦٣)، مناهل العرفان في علوم القرآن: (١/ ١٧٤).

(٣) ماذا يريد الغرب من القرآن: (١٤٩).

الإنجيل"[1].

ذكر المستشرق في نص قوله: (أنهم فازوا بنتائج كان لها أثر في تفسير وتأويل التوراة والإنجيل، وأما القرآن فلم يجد له ذلك غير كتاب واحد وهو تاريخ القرآن ..)[2].

أقول: إذا كان المستشرق لم يطلع إلا على هذا الكتاب فهذا قصور منه فالكتب المتعلقة بالقرآن وعلومه كثيرة، وكذلك المتعلقة بتفسيره وتأويله عديدة، كتب دونت منذ القرون الأولى المفضلة ألفها علماء أجلاء، كانت ولا تزال أصولا ومصادر لا يستغنى عنها في فهم وتفسير القرآن الكريم.

الوقفة الثانية: نظرة المستشرق للمنقول المتواتر، وبيان منهج المستشرقين -أهل التنقيب- في البحث.

قال آرثر جفري: (أدى هذا الفحص في الغرب كما هو معلوم إلى التنازع والخصام بين المتمسكين بالنقل وبين المتمشين مع العقل ...)[3].

أقول: لامجال للعقل فيما جاءنا بالنقل وهو هنا يغالط، ويقلب الواقع، ويزيف الحقائق، ويعمم في الأحكام، بدون مراعاة واحترام لعلماء الإسلام، فيبدأ أولاً بذم قول أهل النقل في عدم إيمانهم بالأبحاث في تاريخ القرآن واقرأ ماذا يقول عنهم لأنهم يقولون: (... إن هذا البحث التحليلي وكل فحص في تاريخ الكتاب المقدس ليس إلاّ طعنا في الدين، ونسبوا إلى هؤلاء الباحثين عدم الإيمان، وزعموا أنهم لا يريدون شيئا غير التشكيك والزندقة والإلحاد ..)[4] أقول هو كذلك فمن ينقّب عن شيء ثبت وانتهى لا يريد غير التشكيك بمصداقيته، والتقول على مرجعيته، فلن يصل إليه العابثون ولا تلوثه أيدي المخرضون مهما زعموا أنه بحث وبيان، ومهما لبسوا الحقائق وقالوا أنه حق وبرهان.

(١) مدخل إلي القرآن الكريم: (٤٥).
(٢) ينظر: مقدمة كتاب المصاحف، تحقيق: المستشرق آرثر جفري (٣).
(٣) ينظر: مقدمة كتاب المصاحف للمستشرق آرثر جفري (٣).
(٤) ينظر: المصدر السابق.

ويستمر في انتقاده لأهل النقل، ولمنهج البحث عند المسلمين وتمحيص المرويات وأصحابها فيقول: (فأما أهل النقل اعتمدوا على آراء القدماء وعلى هذه التخيلات الّتي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم والّتي نقلها العلماء من دور إلى دور، وإذا ما وجدوا بين هذه الآراء خلافا اختاروا واحدا منها وقالوا إنّه ثقة وغيره ضعيف أو كاذب..) يظهر من قوله الطعن في السند الذي به تميزت هذه الأمة المحمدية التي رويت لنا به القراءات المتواترة، والسنة المطهرة عن النبي ﷺ، وبالضبط فيما يلي:

١- قوله: "آراء القدماء" كلمة رديئة تنبئ عن القدم وعتق الشيء[1]، ولولا السابقين الذين نقلوا إلينا هذا الوحي وحفظوا لنا هذا الدين بكل أمانة لم يكن هذا الوحي محفوظ من أيدي المشككين؟

٢- قوله: "التخيلات الّتي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم" يطعن في العلم الذي وصل إلينا ويصرّح بأنه تخيلات وهو العلم الشرعي الرصين، وهذا بلا شك قول ينبع من حقد دفين، وجهل عميق بأصول هذا الدين الإسلامي وكتابه.

٣- قوله: "وإذا ما وجدوا بين هذه الآراء خلافا اختاروا واحدا منها وقالوا إنّه ثقة وغيره ضعيف أو كاذب" ويستمر في غيه وجحده للحق وأهله ويبين أن علماء المسلمين أصحاب هوى إذا وجدوا خلافا بين آراء عدة يختارون ما يريدون، ويضعّفون ما لا يريدون، ويوثقون ما يشاءون وحاشاهم ذلك لأن لديهم ضوابط وأصول مفصلة للاختيار من الآراء المختلفة إن وجدت، وعلماً قائم بذاته أطلق عليه "علم الجرح والتعديل" وأصولاً مقننة معمولاً بها على مر العصور لمعرفة الراوي الثقة أو الضعيف؛ من سبر لمروياته، وتتبع لسيرته وأحواله، وكونه معروفا بالطلب، وتصديه للتدريس والتحديث والإملاء، أو نحو ذلك وهو ما يطلق عليه علماء الحديث "علم رجال الحديث" ومن ثم يأتي الحكم على الرجل بأنه ثقة أو أقل من تلك، وليس كما زعم هذا المستشرق[2]، يقول

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة: (٥/ ٦٥)، لسان العرب: (١٢/ ٤٦٥).
(٢) ينظر: كتاب المصاحف، تحقيق: محب الدين واعظ (١٠٣).

د. إسماعيل عبد العال: "وغني عن البيان أن آرثر جفري يجهل أو يتجاهل قواعد علم الجرح والتعديل، وأن علماء الحديث لم يجرحوا أحد من الرواة، أو يعدلوه إلا بناء على قواعد وضوابط محكمة استخلصوها من دراستهم لأحوال الرجال وتواريخهم وهو علم قائم بذاته أطلق عليه علماء الحديث علم رجال الحديث"[1].

٤- ويريد بقوله السابق أيضاً أن يثبت ويصحح قول أهل الأبحاث المتمشين مع العقل فيقول: (ولكن آراء المفكرين أصحاب هذه المباحث قد ذاعت الآن وانتشرت حتى طغت على آراء غيرهم ممن يتمسكون بالنقل ..) أقول: نعم ذاعت وانتشرت عند أهلها الذين يريدون التشكيك والطعن ولا رواج لها عند علماء الإسلام، ويضيف مؤكدا ومعجبا بصنيعهم بل ومبيناً الطريقة المثلى والمنهج الصحيح في نظره لأهل التنقيب والبحث فيقول: (وأمّا أهل التنقيب فطريقتهم في البحث أن يجمعوا الآراء والظنون والأوهام والتصورات بأجمعها ليستنتجوا بالفحص والاكتشاف ما كان منها مطابقا للمكان والزمان وظروف الأحوال ..)، أقول: إن كانت تلك طريقتكم في البحث والتنقيب فعلى ما صنفتموه السلام ، فأهل التنقيب والبحث -أمثالهم- يبنون بحثهم من جمع الآراء والأوهام والتصورات، وهذا بحد ذاته لا يصلح أن يكون للبحث العلمي النزيه، فضلا عن أن يكون فيما يتعلق بكتابنا الكريم الذي لا يأتيه الباطل والظنون والأوهام قال تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [فصلت: ٤٢][2].

١-وبعد ذلك يستنتجون بالفحص ما كان منها مطابقا للمكان والزمان وظروف الأحوال ، وليس ما كان مطابقاً للحق والحقيقة ومما يزيد الطين بلّة، والبحر طحينا!! أنهم على حد قوله: (معتبرين المتن دون الإسناد) ويكفي في قوله هذا دليلاً على جهله بقيمة الإسناد، وعدم نزاهة الأبحاث والدراسات التي يقدمها المستشرقون لكل ما يتعلق بكتابنا وديننا، لأنهم ينطلقون من هذه الأسس وهذه المنهجية التي ذكرها المستشرق في كلامه،

(١) المستشرقون والقرآن: (٣٦).

(٢) ينظر: المصدر السابق.

وهو منهج يتناقض تماما مع المنهج النقدي الأصيل لدى المسلمين في بحث المرويات المتعلقة بالكتاب والسنة.

وأتساءل: كيف يمكن لمستشرق بهذا المنهج السقيم أن يكتب بتاريخ القرآن، وهو يرفض الإسناد ويأخذ بالمتن فقط، ويفرق بين متلازمين لابد من مراعاتهما جميعا، ويريد أن يصل إلى الحق في تاريخ تطور القرآن على حدّ زعمه ومنهجه ومن معه هو جمع آراء وظنون وتصورات؛ يريدون أن يصلوا بها إلى الحق كما يزعمون؛ أنى لهم ذلك!!.

٢- ثم يقول: (يجتهدون في إقامة نص التوراة والإنجيل كما أُقيم نص قصائد هوميروس أو نص رسائل أرسطو الفيلسوف...)[1] أقول: يرمي هنا إلى تسوية دراسة نصوص القرآن الكريم بنصوص التوراة والإنجيل، وأنه اجتهاد في إقامة النصوص كما يقيمون نصوص البشر، وأقول هناك فرق واضح بين نص سماوي، ونص بشري، فما نزل من السماء وكانت له هذه الصفة فإنه لا تقام نصوصه، ولا بد أن يحظى بالقدسية والاحترام والتبجيل، ثم إن أي محاوله لإقامة نص سماوي هذا يعني أن التحريف والتغيير تطرق إليه، بخلاف نصوص قصائد البشر التي ليس لها أي قدسية وأي حرمة ، ومحاولة تقويمها إنما هو لتطويرها.

الوقفة الثالثة: كتاب نولدكي ، ومايزعمون حوله ، وانتقاصه منهج أهل النقل .

ثم ذكر المستشرق أعمال سابقيه من علماء الغرب في تاريخ القرآن فبدأ بنولدكي (Noldeke) في القسم الأول منه تكلم عن ظاهرة الوحي ، وقال عنه أنه أساس كل بحث في علوم القرآن في أوربا، وبعده تلميذه شوالي (Schwally) الّذي تحدث عن جمع القرآن ، وضم إليه نتائج التدقيقات الحديثة ، وبعده برجشتراسر (Bergstrasser) ، ثم جاء تلميذه برتزل(Pretzl) تحدث عن الرسم والقراءات ومخطوطات المصاحف وطبع الكتاب[2].

(١) ينظر: كتاب المصاحف، تحقيق: آرثر جفري (٤).

(٢) ينظر: كتاب المصاحف، تحقيق: آرثر جفري (٤) باختصار.

ثم بعد هذا ذكر ما يقوله أصحاب النقل عن هذا الكتاب الذي هو أساس كل بحث في علوم القرآن في أوربا على حد قوله، أقول لابد من الباحث النزيه الرجوع إلى المصادر الأساسية في كل علم يكتب عنه، ولو أن هؤلاء الباحثين ومنهم المستشرقين رجعوا إلى الأصل والأساس فإنهم حتما سيعلمون الحق والعدل، أما إذا كان مرجعهم إلى تلك الكتب فالأكيد أن تكون كتاباتهم ككتابات سابقيهم، ومنهجهم كذلك.

وبعد ذلك يقول عن ذلك الكتاب: (ولما ظهرت الطبعة الأولى من كتاب نولدكي تجنى عليه بعض أصحاب النقل في الشرق واتهموه بالطعن في الدين وزعموا أن الذين يتتبعون هذه الطريقة ليسوا خالين من المحاباة في أبحاثهم مع أن إنصافهم وصدق نيتهم وعدم محاباتهم ظاهر ويتبين من كتبهم أنهم لا يرومون إلاّ الكشف عن الحق)[1]

أقول: من الذي أطلعه على نياتهم وهذا ديدن المستشرقين يزعمون الكشف عن الحق وهم يخفون ويدسون الباطل، ولا تخلوا أبحاثهم من المحاباة لكنيستهم وعلماء دينهم الذين يحضونهم على التشكيك بكتابنا المنزه عن التحريف والتغيير.

ثم يستطرد ويبين سبب عدم قبول أهل النقل أقوالهم وأبحاثهم فيقول: (وكان عيبهم الوحيد في أعين أهل النقل أنهم يعتبرون المتن دون الإسناد ويختارون من آراء القدماء ما يطابق ظروف الأحوال من أسانيد متواترة كانت أم ضعيفة، فكثيرا ما تناقض نتائج أبحاثهم بهذه الطريقة تعليم أهل النقل الّذي قد عرف بين العلماء من زمن بعيد)[2].

أقول: يكفى بهذا السبب سبباً لعدم قبول نتائج أبحاثهم، لأن الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء[3]، فكيف يتجاهل هذا المستشرق هذا النقل الذي قام عليه أصول هذا الدين، وجاءت به هذه الشريعة، لذلك جاءت أبحاث أهل العقل مجردة

(١) ينظر: كتاب المصاحف، تحقيق: آرثر جفري (٤).
(٢) ينظر: المصدر السابق.
(٣) هذه عبارة لعبد الله بن المبارك، وهي تنص علي جلالة الإسناد وأهميته في نقل النصوص الشرعية، ينظر: الإسناد عند المحدثين: (١/ ٢١).

من هذا الأساس، وبالتالي أصبحت واهية هاوية، وشهد شاهد من أهلها بقوله: "فكثيرا ما تناقض أبحاثهم طريقة أهل النقل"، وهو كذلك.

وبعد هذا الحديث عن منهج المستشرقين في تدوين القرآن العظيم ذكر آرثر جفري بعض نتائج أبحاثهم إفادة للقراء على حد قوله، ومثالاً ينسج عليه الباحثون – أمثالهم– وبين أنه ليس من الممكن إيضاح كل ما قالوه، واكتفى بذكر سبع نقاط، فيها من الأغلاط المركبة، والأدلة المتهاوية، والتناقضات المتهافتة، جعلت كل نقطة في مبحث مستقل، أسأل الله أن يريني الحق حقا، ويريني الباطل باطلاً ويرزقني بيانه هو ولي ذلك والقادر عليه، آمين.

المطلب الأول: حول جمع القرآن ، وترتيبه .

عنون المستشرق للنقطة الأولى: لما قبض النبيّ ﷺ لم يكن في أيدي قومه كتاب.

ملخص ما قاله يكمن في جانبين: الجانب الأول: (أنه قبض ﷺ و لم يجمع القرآن في شيء، وهذا يطابق ما روى من خوف عمر بن الخطاب وأبي بكر الصديق لما استحر (أي اشتد) القتل بالقرّاء يوم اليمامة... ويتبين من هذا أن سبب الخوف هو قتل القرّاء الذين كانوا قد حفظوا القرآن، ولو كان القرآن قد جُمع وكُتب لما كانت هناك علة لخوفهما)[1].

الرد على الجانب الأول من قوله يتضمن ما يلي:

أولاً: ذكر في بداية عرض النتيجة قوله: (قيل: إن النبي ﷺ كان كل ما مر عليه آيات أمر بكتابتها..) ذكر هذا بصيغة التمريض وهو حديث مشهور متواتر بين المسلمين كما سترد الأحاديث بنصها قريبا.

ثانياً: يحاول أن يثبت المستشرق أن الرسول ﷺ قد انتقل إلى الرفيق الأعلى و لم يكن بين أيدي الصحابة كتاب سماوي وهو يرمي إلى أبعد من ذلك وهو التشكيك في حفظ وكتابة القرآن، فهو ومن معه من المستشرقين لا يقبلون ما كتب من الوحي في صحف

(١) ينظر: فضائل القرآن لابن كثير (٥٧)، مباحث في علوم القرآن (١٣٣).

وأوراق بين يدي النبي ﷺ لأنه في نظره يخالف ما جاء من أحاديث أخرى.

أقول: هذه التراهة التي ينشدون، وعليها يدندنون، وهم لا يقبلون ما جاء من الوحي الصحيح الثابت، وإن كانوا يعلمونه يتجاهلونه ثم يشككون في صحته، ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1]، واستدل جفري بدليلين على عدم كتابة شيء من القرآن في عهد الرسول ﷺ هما:

الدليل الأول: أنه قبض ﷺ ولم يجمع القرآن في شيء[2].

ويرد عليه: بأن الله تعالى أخبر توفي الرسول ﷺ والقرآن مفرقٌ في الرقاع والعسب والعظام والأحجار، ولم يُجمع القرآن في زمنه ﷺ في صحف ولا مصاحف، فالذي نفاه زيد ﷺ في هذا الحديث هو جمع متفرق القرآن في صحف، وجمع الصحف في المصاحف. قال السيوطي: وقد كان القرآن كله مكتوبًا في عهده، لكن غير مجموع في موضع واحد، ولا مرتب السور[3]. وإنما ترك النبي ﷺ جمع القرآن في مصحف واحد لاعتبارات كثيرة، منها[4]:

١- أنه لم يوجد من دواعي كتابته مجموعًا في صحف أو مصاحف مثل ما وجد على عهد أبي بكر؟ حتى جمعه في مصحف، ولا مثل ما وجد في عهد عثمان؟ حتى نسخه في مصاحف، فالمسلمون وقتئذ بخير، والقراء كثيرون، والإسلام لم تتسع دولته، والفتنة

(١) البقرة: ٤٢.

(٢) أخرجه السيوطي في الإتقان قال في فوائده حدثنا إبراهيم بن بشار حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن عبيد عن زيد بن ثابت قال: (قبض النبي ولم يكن القرآن جمع في شيء).
ينظر: الإتقان في علوم القرآن: (١/ ١٤٤)، وجامع البيان: (١/ ٢٨)، حيث رواه الطبري عن الزهري مرسلاً مرفوعًا.

(٣) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: (١/ ١٦٠)، وجمع القران في مراحله التاريخية من العصر النبوي الى العصر الحديث (١٠).

(٤) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: (١/ ١٤٤)، حاشية مقدمة التفسير: (١/ ٢٠)، جمع القران في مراحله التاريخية: (١/ ٤٥).

مأمونة، والتعويل لا يزال على الحفظ أكثر من الكتابة، وأدوات الكتابة غير ميسورة، والنبي ﷺ بين أظهرهم، وعنايته باستظهار القرآن تفوق الوصف، فلا خوف على ضياع شيء منه في تلك المدة.

٢- أن الوحي يترل بنسخ ما شاء الله نسخه من القرآن، ولو جمع القرآن في مصحف واحد وقتئذ لكان عرضة لتغيير المصاحف كلما وقع نسخ.

٣- أن القرآن لم يَنْزِل جملة واحدة، بل نزل منجمًا في مدى عشرين سنة أو أكثر، ولم يكن ترتيب الآيات والسور على ترتيب النُّزُول، ولو جُمِع القرآن في مصحف واحد وقتئذ لكان عرضة لتغيير المصاحف كلما نزلت آية أو سورة.

كما أن هذا الحديث الذي استدل به معارض لما هو أقوى منه من روايات صحيحة ثابتة دالة على أن القرآن الكريم قد تمَّ تدوينُه في عهد النبي ﷺ وهي:

١- ما رواه البخاري عن زيد بن ثابت في قصة جمع القرآن، وبالتحديد عندما طلب منه أبو بكر ﷺ أن يتتبع القرآن فيجمعه، قال ﷺ وهو موطن الشاهد: (فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والعسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة أو مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[1] ...)[2] فزيد بن ثابت الذي تتبع يجمع القرآن في موضع واحد لم يكن يجمعه من فراغ وإنما جمعه من مصدرين: ما كان مكتوبا بين يدي رسول الله ﷺ، وما كان من حفظ الصحابة -رضوان الله عليهم-[3] فالذي روى الحديث السابق هو نفسه الذي روى له البخاري حديث صريح الدلالة، صحيح الثبوت في أن القرآن كان مكتوبا في السطور قبل وفاة النبي ﷺ فيؤخذ ما كان صريح الدلالة على ما كان ظني محتمل -والله أعلم-.

(١) سورة التوبة: ١٢٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: (٦/ ١٨٣) في كتاب فضائل القرآن، بَاب جَمْعِ الْقُرْآنِ، برقم: (٤٩٨٦).

(٣) ينظر: المستشرقون والقرآن لإسماعيل عبد العال: (٤٩).

٢- اتخاذ النبي ﷺ عددا من الصحابة يدوّنون ما يترل عليه من القرآن ويعرف هؤلاء بـ "كتّاب الوحي" وقد وصف هذا الجمع زيد بن ثابت ﷺ فقال: (كنا عند رسول الله -ﷺ- نُؤَلِّف القرآن من الرِّقاع)[1] أي: نجمعه لترتيب آياته من الرقاع.

٣- ما رواه البخاري أيضا عن البَراء قال: «لما نَزَلَت: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2] قال النبيّ ﷺ: ادعوا فلانا، فجاءه ومعه الدواةُ واللوحُ -أو الكتف- فقال: ﴿اكتب لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[3] الحديث. فهؤلاء كتاب الوحي والذين كانوا يكتبون ما يملي عليهم رسول الله ﷺ، وهو مما يدل على أنه كتب في عهده، ولم يقبض إلا والقرآن قد جمع قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾[4]، فجمعه يشمل معنيين هما حفظه في الصدور، وكتابته في السطور.

٤- إطلاق لفظ الكتاب على القرآن في كثير من آياته الكريمة، وهذا فيه إشارة إلى أنه كان مكتوباً وقد جاء في أحاديث مشهورة عن نهي النبي عن كتابة شيء عنه غير القرآن، وحثه الصحابة بحفظ القرآن وتعليمه وقراءته وتلاوة آياته، واهتمام النبي ﷺ وعناية به. وغير ذلك من الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة، والتي تدل على أن القرآن قد كُتب كله على عهد النبي، علاوة على حفظة في الصدور.

فهذه النصوص وغيرها تبين أن القرآن كان مدونا ومكتوباً في عهد الرسول ﷺ، بل إنه ﷺ كان يأمر أصحابه بالكتابة وسمّوا كُتاب الوحي، وكان حريصا عليه الصلاة والسلام على تدوين كل ما يترل عليه من الوحي ولو كان بعض آية، إلا أن هذا المكتوب لم يكن مجموعا في مصحف واحد كما هو اليوم، فعلى هذا دلت الأحاديث الصحيحة،

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين: (٢/ ٢٤٩)، برقم (٢٩٠١)، قال عنه: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
(٢) النساء: (٩٥).
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب قوله: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ من الْمُؤْمِنِينَ .. وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ برقم (٤٣١٦)، (٤/ ١٦٧٧).
(٤) القيامة: ١٧.

وبالتالي فإن دليله فيه نظر لما ذكرنا.

ثالثاً: أن جفري يزعم بإيراده هذا الدليل أنه لم يكتب القرآن في عهده ﷺ، وهو يناقض نفسه وينطق بالحق -الذي أراد أن يلبّسه- في نفس الصفحة في الفقرة التالية فيقول: "وزعم بعض الكتبة ان المراد بالجمع في هذا الحديث الحفظ، ... ويلزم على هذا أن ما جمعوه كان مخطوطا في مصاحف "، ثم هو محقق لكتاب المصاحف والذي وردت فيه أحاديث تثبت هذا وترد عليه ، وكان أول باب ذكره المستشرق: "باب من كتب الوحي لرسول الله ﷺ" وهو يثبت هذا بنفسه؟؟!

الدليل الثاني: (.. لما استحر القتل بالقرّاء يوم اليمامة، ويخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن كلها، فيذهب قرآن كثير[1] ..)، وهذا سبب خوف أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما- لأن القرآن لم يجمع ولو جمع لما كان هذا الخوف على القرآن[2].

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن، بَاب جَمْعِ الْقُرْآنِ في: (٤/ ١٩٠٧) برقم: (٤٧٠١) وهذا نصه الذي لم يورد المستشرق منه إلا ما يوافق زعمه، ويتجاهل الجزء الأخير منه وفيه دلالة صريحة على كتابة القرآن في عهد الرسول ﷺ، قال البخاري: حدثنا مُوسَى بن إِسْمَاعِيلَ عن إبراهيم بن سَعْدٍ حدثنا بن شِهَابٍ عن عُبَيْدِ بن السَّبَّاقِ أَنَّ زَيْدَ بن ثَابِتٍ ﷺ قال: (أَرْسَلَ إِلَيَّ أبو بَكْرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ الْيَمَامَةِ فإذا عُمَرُ بن الْخَطَّابِ عِنْدَهُ قال أبو بَكْرٍ ﷺ إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فقال إِنَّ الْقَتْلَ قد اسْتَحَرَّ يوم الْيَمَامَةِ بِقُرَّاءِ الْقُرْآنِ وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرَّاءِ بِالْمَوَاطِنِ فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ من الْقُرْآنِ وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ الْقُرْآنِ قلت لِعُمَرَ كَيْفَ تَفْعَلُ شيئا لم يَفْعَلْهُ رسول اللهِ ﷺ قال عُمَرُ هذا والله خَيْرٌ فلم يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي حتى شَرَحَ الله صَدْرِي لِذَلِكَ وَرَأَيْتُ في ذلك الذي رَأَى عُمَرُ قال زَيْدٌ قال أبو بَكْرٍ إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لَا نَتَّهِمُكَ وقد كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَتَتَبَّعْ الْقُرْآنَ فَاجْمَعْهُ فَوَاللهِ لو كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ من الْجِبَالِ ما كان أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ من جَمْعِ الْقُرْآنِ قلت كَيْفَ تَفْعَلُونَ شيئا لم يَفْعَلْهُ رسول اللهِ قال هو والله خَيْرٌ فلم يَزَلْ أبو بَكْرٍ يُرَاجِعُنِي حتى شَرَحَ الله صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ له صَدْرَ أبي بَكْرٍ وَعُمَرَ ﷺ فَتَتَبَّعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ من الْعُسُبِ وَاللِّخَافِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ حتى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مع أبي خُزَيْمَةَ الْأَنْصَارِيِّ لم أَجِدْهَا مع أَحَدٍ غَيْرِهِ (لقد جَاءَكُمْ رَسُولٌ من أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عليه ما عَنِتُّمْ) حتى خَاتِمَةِ بَرَاءَةَ فَكَانَتْ الصُّحُفُ عِنْدَ أبي بَكْرٍ حتى تَوَفَّاهُ الله، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ رضي الله عنها).
(٢) مقدمة كتاب المصاحف، تحقيق: آرثر جفري (٥).

ويرد عليه: بأن خوف أبي بكر وعمر –رضي الله عنهما ليس لأن القرآن لم يكتب ولم يجمع في مصحف، ولكن لأن القرآن لا بد وأن يوثق توثيقاً دقيقاً فبجانب المكتوب في السطور لا بد أن يكون هناك المحفوظ في الصدور ليتم الحفظ والجمع لهذا القرآن على أتم الأوجه وأكملها –وهذا وأيم الله– إنه لحق وصدق وهي نقطه على المستشرق لا له، وهو مما يزيد ويثبت ويدل دلالة لا مجال للشك فيها على حفظ القرآن.

فكان لا بد أن يحس أبي بكر وعمر –رضي الله عنهما– بهذا الخوف –والذي هو محمود في ذاته–، على القرآن بذهاب من يحفظه كركيزة إضافية لما هو مكتوب، فوفقهم الله تعالى إلى جمع هذا القرآن في مصحف واحد بطريقة مقننه، ومنهجية متقنه، وضعها أبو بكر وعمر لزيد ﷺ فيها ضمان لحياطة كتاب الله بما يليق به من تثبت بالغ، وحذر دقيق، وتحريات شاملة، فلم يكتف بما حفظ في قلبه، ولا بما كتب بيده، ولا بما سمع بأذنه، بل جعل يتتبع ويستقصي آخذا على نفسه أن يعتمد في جمعه على مصدرين اثنين: أحدهما: ما كتب بين يدي رسول الله ﷺ. والثاني: ما كان محفوظا في صدور الرجال. وبلغ من مبالغته في الحيطة والحذر أنه لم يقبل شيئا من المكتوب حتى يشهد شاهدان عدلان أنه كتب بين يدي رسول ﷺ[1] ولم يعتمد زيد على الحفظ وحده ولذلك قال في الحديث الذي رواه البخاري سابقا (إنه لم يجد آخر سورة براءة إلا مع أبي خزيمة) أي لم يجدها مكتوبة إلا مع أبي خزيمة الأنصاري مع أن زيدا كان يحفظها وكان كثيرا من الصحابة يحفظونها ، ولكنه أراد أن يجمع بين الحفظ والكتابة زيادة في التوثق ومبالغة في الاحتياط، وعلى هذا الدستور الرشيد تم جمع القرآن بإشراف أبي بكر وعمر وأكابر الصحابة وإجماع الأمة عليه دون نكير، وكان ذلك منقبة خالدة لا يزال التاريخ يذكرها بالجميل

(١) يدل على ذلك ما أخرجه أبو داود أيضا من طريق هشام بن عروة عن أبيه أن أبا بكر قال لعمر ولزيد: (اقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فأكتباه) وهو حديث رجاله ثقات مع انقطاعه. قال ابن حجر: وكأن المراد بالشاهدين الحفظ والكتاب أو المراد أنهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله ﷺ، ينظر: فتح الباري لابن حجر: (٩/ ١٤).

لأبي بكر في الإشراف، ولعمر في الاقتراح، ولزيد في التنفيذ، وللصحابة في المعاونة والإقرار[1] ، وهو شرف عظيم اختصت به هذه الأمة المحمدية بخلاف أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين لا يحفظون كتابهم ولا يقرءونه إلا نظرا، أما المسلمين فيحفظون القرآن عن ظهر قلب كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾[2]، وقد فهم علماء المسلمين من حديث زيد بن ثابت المروي في البخاري أن القرآن كان مكتوبا ومحفوظا في عصر النبي ﷺ، ولم يكن جمع أبي بكر مستحدثا. قال الزركشي: "كتابة القرآن ليست محدثة فإنه صلى الله عليه وسلم كان يأمر بكتابته ولكنه كان مفرقا في الرقاع والأكتاف والعسب وإنما أمر الصديق بنسخها من مكان إلى مكان وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله ﷺ فيها القرآن منتشر فجمعها جامع وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء ..."[3] وهو قول جيد لجمع القرآن، ورد عظيم على المشككين والموهمين في تاريخ القرآن.

ثم إن جفري بتراهته التي يدعيها، ومنهجه الحيادي الذي يزعمه يروي جزء من الحديث وبه يثبت ما يريد، ثم هو يتجاهل الجزء الأخير من الحديث ذاته[4] والذي يدل دلالة واضحة على أن القرآن كان مكتوبا في عهد الرسول ﷺ، فهو يكتم الحق العلمي الناصع ويأبى هذا الحق إلا بالظهور والإنجلاء.

أخيراً: كيف لهذا المستشرق ومن على شاكلته من المستشرقين[5] أمثال غوستاف لوبون

(١) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن: (١/ ١٧٥).

(٢) العنكبوت: (٤٩).

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن: (١/ ٢٣٨)، وهو قول للإمام أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبى المتوفي ٢٤٣هـ في كتاب فهم السنن ، ولم أقف على هذا الكتاب.

(٤) وأقصد بالتحديد قول زيد عن نفسه: (... فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والعسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة أو مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) ...).

(٥) ينظر: مواقف المستشرقين من جمع القرآن الكريم ورسمه وترتيبه: (٨).

الذي يقول: "لم يُجمع القرآن نهائيا إلا بعد وفاة محمد. وبيان الأمر أن محمداً كان يتلقى في حياته عدة نصوص عن الأمر الواحد، فلما انقضت عدة سنين على وفاته حمل خليفته الثالث على قبول نص نهائي مقابلا بين ما جمعه أصحاب الرسول" والمستشرق سوردال: الذي يزعم أن الآثار الإسلامية نفسها تدل على عدم قيد الآيات القرآنية بالكتابة تحت رقابة النبي محمد، ولا هو ضمّها ضمن مجموع كامل، بل اكتفى فقط قبيل وفاته بالإعلان عن نهاية الوحي"[1] كيف لهم أن ينالون من جمع القرآن وحفظه؟! بعد أن تعهد الحفيظ العليم بحفظه قال عز وجل: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾[2] وجمعه يشمل المعنيين الّذين أشرت إليهما من قبل وهما حفظه في الصدور، وكتابته في السطور. قال ابن جزي: "ويحتمل قرآنه هنا وجهين: أحدهما: أن يكون بمعنى القراءة فإن القرآن قد يكون مصدرا من قرأت، والآخر: أن يكون معناه تأليفه .. فهو مصدر من قولك قرأت الشئ أي جمعته"[3] وفي عرض المستشرق هذه النتيجة ، وجعلها أول النتائج أكبر دليل على أنه وكل من على شاكلته يريدون إلصاق هذه التهمة —التشكيك في حفظ وجمع القرآن- والكتاب الكريم منزه عن مقالتهم .

الجانب الثاني من قول المستشرق: (إن علماء الغرب لا يوافقون على ترتيب نص القرآن كما هو اليوم في أيدينا من عمل النبيّ ﷺ)[4].

الرد على الجانب الثاني من قوله يتضمن مايلي:

أولاً: قوله: (أن علماء الغرب لايوافقون ..)، وقبلها قال: (وهذا الرأي لا يقبله المستشرقون ..) أقول: هم كذلك فما كان لا يوافق أهوائهم يرفضونه، وما كان يخالف

(١) ففي هذه النصوص من الأخطاء ما فيها وليس هذا محل بحثي، ولكن أردت إظهار ادعاءات هؤلاء الغربيين للقرآن وكيف ينالون من حفظه بأساليب متفرقه.

(٢) القيامة: ١٧.

(٣) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٤/ ١٦٥).

(٤) مقدمة كتاب المصاحف، تحقيق: آرثر جفري (٥).

شعاراتهم يرفضونه!! فأين نزاهة أبحاثهم التي بها يدعون؟ وعليها يدندنون؟!

ثم إن قبولهم وموافقتهم لا تهمنا، والذي يهمنا هو معرفة خبث نياتهم، ومحاباتهم في أبحاثهم، وجحودهم في دراساتهم للحق وأهله، وهو بقوله هذا يتحدث بصيغة الجمع، ويجعل جميع المستشرقين في موقف واحد.

ثانياً: قوله: (ترتيب نص القرآن) عبارة موهمة فترتيب القرآن على نوعين ترتيب الايات في السور، وترتيب السور في القرآن.

فأما النوع الأول: وهو ترتيب آياته: فلا يشذ أحد من المسلمين عن القول المجمع عليه من الكافة[1] بأن ترتيبها توقيفي من الرسول ﷺ. قال القاضي عياض: (ولا خلاف أن ترتيب آيات كل سورة بتوقيف من الله تعالى على ما هي عليه الآن في المصحف وهكذا نقلته الأمة عن نبيها ﷺ)[2] وفيما يلي الأدلة على ذلك:

أولاً: النصوص الدالة على ترتيب الآيات في كل سورة، كثيرة أذكر منها على سبيل المثال ما يلي: حديث زيد السابق الذكر[3] والذي فيه نؤلف القرآن من الرقاع، أي نرتب آياته من الرقاع .

ومنها: ما أخرجه أحمد عن عثمان بن أبي العاص قال: كنت جالسا عند رسول الله إذ شَخَصَ ببصره ثم صَوَّبه، ثم قال: (أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[4]) [5].

ومنها: ما أخرجه البخاري عن ابن الزبير قال: قلت لعثمان: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ

(١) نقل الإجماع غير واحد منهم الزركشي في البرهان: (١/ ١٨١).

(٢) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم: (٦/ ٦٢).

(٣) ينظر: المطلب الأول من هذا المبحث (٣٣).

(٤) النحل: ٩٠.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث عثمان بن أبي العاص برقم: (١٧٩٤٧)، (٤/ ٢١٨).

مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١)، قد نسختها الآية الأخرى فَلِمَ تكتبها أو تدعها؟ قال: يا بن أخي لا أغير شيئا منه من مكانه(٢).

قال ابن حجر: "وفي جواب عثمان هذا دليل على أن ترتيب الآي توقيفي"(٣) ومن هذه النصوص أيضاً: ما رواه مسلم عن عمر قال: (.. ما رَاجَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي شَيْءٍ ما رَاجَعْتُهُ فِي الْكَلَالَةِ وما أَغْلَظَ لِي فِي شَيْءٍ ما أَغْلَظَ لِي فيه حتى طَعَنَ بِإِصْبَعِهِ فِي صَدْرِي وقال يا عُمَرُ ألا تَكْفِيكَ آيَةُ الصَّيْفِ التي في آخِرِ سُورَةِ النِّسَاءِ ...)(٤).

فهذه النصوص دالة دلالة صريحة في ترتيب آي القرآن في كل سورة وهو ترتيباً توقيفياً بلا شك ولا خلاف فيه ولهذا لا يجوز تعكيسها(٥).

ثانياً: أقوال العلماء في ترتيب الآيات في السور. فقد قال مكي وغيره: "ترتيب الآيات في السور هو من النبي ﷺ ولما لم يأمر بذلك في أول براءة تركت بلا بسملة".

وقال القاضي أبو بكر: "ترتيب الأيات أمر واجب وحكم لازم فقد كان جبريل يقول ضعوا آية كذا في موضع كذا".

وقال ابن الحصار: "ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحي، كان رسول ﷺ يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا، وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله ﷺ، ومما أجمع الصحابة على وضعه في المصحف"(٦).

(١) البقرة: ٢٣٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، بَاب قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فإذا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، برقم: (٤٢٥٦)، (٤/ ١٦٤٦).

(٣) فتح الباري: (٨/ ١٩٤).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفرائض، باب ميراث الكلالة: برقم (١٦١٧)، (٣/ ١٢٣٦).

(٥) ينظر: البرهان في علوم القرآن: (١/ ١٨١)، مناهل العرفان في علوم القرآن: (١/ ٢٣٤).

(٦) هذه الأقوال وغيرها في الإتقان في علوم القرآن: (١/ ٨٠).

فهذه أقوال علماء المسلمين في ذلك، وهذه الأدلة الصحيحة الواضحة، ولا يرتاب فيها مرتاب إلا من طمس الله على قلبه وجعل على بصرة غشاوة ومع ذلك فقد حاول آرثر جفري أن يطعن فيما كان قطعي الثبوت ويصل إلى ترتيب آيات القرآن وذلك ظاهر من لفظه "ترتيب نص القرآن".

وأما النوع الثاني: وهو ترتيب سور القرآن في المصحف، ففيه خلاف بين أهل العلم، والذي وجد المستشرقون فيه متكأ يتكئون عليه في شبهاتهم، وتشكيكهم إلا أن الأرجح والأقوى من هذه الأقوال هو القول بأن ترتيبها كان توقيفياً عن رسول الله ﷺ وسأورد باختصار أقوال العلماء في ذلك وهي ثلاثة آراء(١): **الرأي الأول**: أن ترتيب السور على ما هو عليه في المصحف الآن توقيفي، وأنه لم توضع سورة في مكانها إلا بأمر من الرسول ﷺ عن جبريل عليه السلام عن ربه عز شأنه كترتيب الآيات سواء بسواء وهو قول جمهور العلماء(٢). **والرأي الثاني**: أنه ترتيب السور اجتهادي من فعل الصحابة -رضي الله عنهم-(٣). **والرأي الثالث**: أن ترتيب بعض السور كان توقيفياً، وبعضها كان باجتهاد من الصحابة(٤).

ومما يؤيد قول الجمهور أدلة عديدة ظاهرة صريحة منها: قوله: (اقرؤوا الزهراوين البقرة وآل عمران)(٥) فذكرها مرتبة كما جاءت في المصحف.

(١) لمزيد من التفاصيل حول هذه المسألة، ينظر: البرهان في علوم القرآن: (١/ ١٨١) الإتقان في علوم القرآن: (١/ ٨٠)، ومباحث في علوم القرآن: (١٤١)، ودراسات في علوم القرآن: (١١٩).

(٢) وممن ذهب إلى هذا الرأي: أبو جعفر النحاس، والكرماني، وأحد قولي الباقلاني، وأبو بكر بن الأنباري، وابن الحصار، ومن المتأخرين العلامة الفراهي.

(٣) وممن ذهب إلى هذا الرأي: الإمام مالك والباقلاني في أحد قوليه، والقاضي عياض، ومكي بن أبي طالب وغيرهم.

(٤) وممن ذهب إلى هذا الرأي: البيهقي، وابن عطية، والسيوطي، وابن حجر.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، بَاب فَضْلِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَسُورَةِ الْبَقَرَةِ، برقم: (٨٠٤)، (١/ ٥٥٣).

وكحديث أنس قال: (وجد رسول الله ﷺ ذات ليلة شيئا فلما أصبح قيل: يا رسول الله إن أثر الوجع عليك يتبين، قال: إني إنما على ما ترون بحمد الله قد قرأت السبع الطوال) [1].

وعن ابن مسعود أنه قال: (بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء: إنهن من العتاق الأُول وهنَّ من تِلادي[2]). فذكرها نسقا كما استقر ترتيبها. وغيرها كثير.

قال السيوطي: "ومما يدل على أنه توقيفي كون الحواميم رتبت ولاء وكذا الطواسين و لم ترتب المسبحات ولاء بل فصل بين سورها وفصل بين طسم الشعراء وطسم القصص بطس مع أنها أقصر منهما ولو كان الترتيب اجتهاديا لذكرت المسبحات ولاء وأخرت طس عن القصص والذي ينشرح له الصدر ما ذهب إليه البيهقي وهو أن جميع السور ترتيبها توقيفي إلا براءة والأنفال ولا ينبغي أن يستدل بقراءته ﷺ سورا ولاء على أن ترتيبها كذلك وحينئذ فلا يرد حديث قراءته النساء قبل آل عمران لأن ترتيب السور في القراءة ليس بواجب فلعله فعل ذلك لبيان الجواز"[3].

وبعد استعراض هذه الأقوال وأدلتها يتبين أن الرأي الراجح هو توقيف ترتيب أكثر سور القرآن الكريم، وما لم يَرِدْ دليلٌ على ترتيبه لا يعني أنه رتب بطريق الاجتهاد، فقد يكون ترتيبُه بدليل لم يصل إلينا، وعلى كل حال، ومهما يكن من أمر، سواء كان هذا الترتيب الذي نجده في المصاحف بطريق التوقيف أو بطريق الاجتهاد، ثم أجمعت الصحابةُ عليه، ومضت الأمة على قبوله، فيجب التمسكُ به والإعراضُ عن الدعوات الزائفة لإعادة ترتيب المصحف حسب النزول أو الموضوع، أو غير ذلك، مما يلهج به

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه، برقم: (١١٥٧)، (١/ ٤٥١)، وقال عنه هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، باب سُورَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ الإسراء، برقم: (٤٤٣١)، (٤/ ١٧٤١).

(٣) الإتقان في علوم القرآن: (١/ ١٧٣).

المستشرقون ومن يتبعهم، ولأن في ترتيب سوره معانيَ لا تقل عن معاني الترتيب في آياته، جَدَّ كثير من العلماء في استنباطها وتحصيلها، فالعدول عن هذا الترتيب مخالف للإجماع وفي ذلك مفاسد عظيمة[1]، ولهذا يقول أبو بكر بن الأنباري: "اتساق السور كاتساق الآيات والحروف كان عن النبي ﷺ، فمن قدّم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم القرآن"، ونقل السيوطي عن بعضهم القول: "لترتيب وضع السور في المصحف أسباب تطلع على أنه توقيفي صادر من حكيم"[2].

فلم نجد عالما واحدا من علماء المسلمين يجيز إعادة الترتيب حسب النزول، بل كلهم يرون ضرورة الالتزام بالترتيب الموجود في المصحف العثماني لما يترتب على مخالفة ذلك من أمور خطيرة.

لذلك لا عبرة بدعوة من شكك في ترتيب القرآن أمثال جفري، والعجيب كما ذكر د.إسماعيل عبد العال: "أنه حقق كتاب المصاحف ، وكتاب المباني في نظم المعاني، ومقدمة ابن عطية في تفسيره وليس فيها ما يشير إلى تلك الفرية الكبرى التي نطق بها جفري وأشباهه بل إن كتاب المباني ذكر فصلا كاملا في بيان أن القرآن على هذا الترتيب الذي هو في أيدينا اليوم لا على ترتيب النزول، وساق أدلة ساطعة على أن الترتيب بمعنييه ترتيب توقيفي، وأن الصحابة لم يقدموا شيئاً أخره الله، ولا أخروا شيئاً قدمه الله تعالى[3]". ومع هذا فلم يؤمن به، و لم يذكره، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على عدم نزاهة أبحاثهم، وعدم مصداقية دراساتهم.

ولم يكن قول آرثر جفري بدعا من القول فقد كان من بعض المستشرقين هذا القول مثل هنري ماسي: يرى أن ترتيب سور القرآن وآياته إنما وضع بعد وفاة النبي ﷺ. ويقول بروكلمان -متحدثا عن الجمع العثماني-: "إن زيداً رتب في هذا الجمع السور

(١) ينظر: دراسات في علوم القرآن للرومي: (١٢٣).

(٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: (١/ ٨٠).

(٣) ينظر: المستشرقون والقرآن: (٥٤).

الكتابة كما روي عن قَتَادَةُ قال سَأَلْتُ أَنَسَ بن مَالِكٍ ﷺ من جَمَعَ الْقُرْآنَ على عَهْدِ النبي ﷺ؟ قال: أَرْبَعَةٌ كلهم من الْأَنْصَارِ أُبَيُّ بن كَعْبٍ، وَمُعَاذُ بن جَبَلٍ، وَزَيْدُ بن ثَابِتٍ، وأبو زَيْدٍ تَابِعَهُ الْفَضْلُ)[1]، والذي ذكر هذا المستشرق من أدلة هي من هذا النوع، وإن كانت واردة إلا أنها كانت فيما بعد العهد النبوي، وكانت زمن الخلفاء الراشدين -عهد التدوين-.

وكل من الصحابة الذين ذكرهم كانت لهم مصاحف خاصة بهم، فكل صحابي دوّن وكتب ما تيسر له من القرآن، ولم يكن هؤلاء ملزمين بكتابة كامل القرآن، كما كان الوضع عند زيد بن ثابت ﷺ، فالمقارنة بينهما، أو بينها وبين المصحف الإمام في الترتيب هي مقارنة جائرة كما ذكر المستشرق. يقول حسن عزوزي: "لقد أدرك المسلمون منذ قديم أن هذه المصاحف الخاصة التي أمر الخليفة عثمان ﷺ بإحراقها على ملأ من الصحابة، وبموافقتهم ــ ولم يبق منها شيء ــ قد كتبها أصحابها لأنفسهم، وأنها عبارة عن تقييدات خاصة تضمنت ما كانت روايته آحاداً أو شاذة، وما نسخت تلاوته، فضلاً عن مختلف التفسيرات والشروح التي كانوا يسمعونها من رسول الله ﷺ، ويحرصون على تقييدها للاستعانة بها في استيعاب مضامين الآيات القرآنية."[2]

قوله: (وكانت هذه المصاحف يختلف بعضها عن بعض لإن كل نسخة منها اشتملت على ما جمعه صاحبها وما جمعه واحد لم يتفق حرفيا مع ما جمعه الآخرون)[3] أقول: أن ما ورد في بعض المصاحف وإن كان لم يوافق مع ما ورد حرفيا في المصحف

(٤٧١٨)، (٤/ ١٩١٣)، ولا أدل على ما ذكرنا من أن البخاري جعل هذا الحديث ضمن باب القرآء، ولم يقل الكُتّاب-والله أعلم-.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: في كتاب فضائل القرآن، بَاب الْقُرَّاءِ من أَصْحَابِ النبي ﷺ برقم: (٤٧١٧)، (٤/ ١٩١٣).

(٢) ينظر: مناهج المستشرقين البحثية في دراسة القرآن الكريم: (١١).

(٣) مقدمة كتاب المصاحف، تحقيق: آرثر جفري (٦).

الإمام ؛ له أسباب جهلها أو تجاهلها هذا المستشرق منها:

١- قد يكون أحدهم في سرية أو في تجارة أو سفر، أو غير ذلك من الأمور فيتغيب عن الرسول ﷺ، فترة يترل فيها الوحي، فإذا رجع فقد يفوت عليه شيء كثير، وبعضهم يأخذ في جمع ما تيسر له مما فاته فيقع في ذلك التفاوت بين المصاحف، ولا أدل على ذلك من قصة عمر بن الخطاب وجاره من الأنصار قال: (كنت أنا وَجَارٌ لي من الْأَنْصَارِ في بَنِي أُمَيَّةَ بن زَيْدٍ وَهِيَ من عَوَالِي الْمَدِينَةِ وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ على رسول اللَّهِ ﷺ يَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا فإذا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِخَبَرِ ذلك الْيَوْمِ من الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ وإذا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذلك ...)[1].

٢- قد تكون بعض الزيادات والإضافات في بعض المصاحف هي من قبيل الروايات التفسيرية، وبيان للمعاني، ولأنه كان مصحفاً خاصاً بصاحبه فقد يدون فيه ما يريد من روايات تفسيرية لذا جاء في بعض المصاحف ما لم يجيء في غيرها من تفسيرات لا تعد قرآنا وقد أوضح ذلك ابن الجزري فقال: (وربما يدخلون التفسير في القراءات إيضاحاً وبياناً، لأنهم محققون لما تلقوه عن النبي ﷺ قرآناً، فهم آمنون من الالتباس، وربما كان بعضهم يكتبه معه)، ومثال ذلك: ما حكي أن عبد الله بن مسعود ﷺ قرأ: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾[2]، قرأها: (فوسوس لهما الشيطان)، قال أبو حيان: "وهذه القراءة مخالفة لسواد المصحف المجمع عليه ، فينبغي أن تجعل تفسيراً[3]"، ومن هذا السبب يتبين لنا سبباً آخر وهي النقطة التالية.

١- قد ينسب إلى الإنسان ما لم يصح عنه، ولذلك قال الإمام الطبري: "القراءة التي

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، بَاب مَوْعِظَةِ الرَّجُلِ ابْنَتَهُ لِحَالِ زَوْجِهَا، برقم: (٤٨٩٥)، (٥/ ١٩٩١).

(٢) البقرة: ٣٦.

(٣) البحر المحيط: (١/ ٣١٣).

الكتابة كما روي عن قَتَادَةُ قال سَأَلْتُ أَنَسَ بن مَالِكٍ ﷺ من جَمَعَ الْقُرْآنَ على عَهْدِ النبي ﷺ؟ قال: أَرْبَعَةٌ كلهم من الْأَنْصَارِ أُبَيُّ بن كَعْبٍ، وَمُعَاذُ بن جَبَلٍ، وَزَيْدُ بن ثَابِتٍ، وأبو زَيْدٍ تَابِعَهُ الْفَضْلُ)[1]، والذي ذكر هذا المستشرق من أدلة هي من هذا النوع، وإن كانت واردة إلا أنها كانت فيما بعد العهد النبوي، وكانت زمن الخلفاء الراشدين -عهد التدوين-.

وكل من الصحابة الذين ذكرهم كانت لهم مصاحف خاصة بهم، فكل صحابي دوّن وكتب ما تيسر له من القرآن، ولم يكن هؤلاء ملزمين بكتابة كامل القرآن، كما كان الوضع عند زيد بن ثابت ﷺ، فالمقارنة بينهما، أو بينها وبين المصحف الإمام في الترتيب هي مقارنة جائرة كما ذكر المستشرق. يقول حسن عزوزي: "لقد أدرك المسلمون منذ قديم أن هذه المصاحف الخاصة التي أمر الخليفة عثمان ﷺ بإحراقها على ملأ من الصحابة، وبموافقتهم ــ ولم يبق منها شيء ــ قد كتبها أصحابها لأنفسهم، وأنها عبارة عن تقييدات خاصة تضمنت ما كانت روايته آحاداً أو شاذة، وما نسخت تلاوته، فضلاً عن مختلف التفسيرات والشروح التي كانوا يسمعونها من رسول الله ﷺ، ويحرصون على تقييدها للاستعانة بها في استيعاب مضامين الآيات القرآنية."[2]

قوله: (وكانت هذه المصاحف يختلف بعضها عن بعض لإن كل نسخة منها اشتملت على ما جمعه صاحبها وما جمعه واحد لم يتفق حرفيا مع ما جمعه الآخرون)[3] أقول: أن ما ورد في بعض المصاحف وإن كان لم يوافق مع ما ورد حرفيا في المصحف

(٤٧١٨)، (٤/ ١٩١٣)، ولا أدل على ما ذكرنا من أن البخاري جعل هذا الحديث ضمن باب القرآء، ولم يقل الكُتّاب-والله أعلم-.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: في كتاب فضائل القرآن، بَاب الْقُرَّاءِ من أَصْحَابِ النبي ﷺ برقم: (٤٧١٧)، (٤/ ١٩١٣).

(٢) ينظر: مناهج المستشرقين البحثية في دراسة القرآن الكريم: (١١).

(٣) مقدمة كتاب المصاحف، تحقيق: آرثر جفري (٦).

الإمام ؛ له أسباب جهلها أو تجاهلها هذا المستشرق منها:

١- قد يكون أحدهم في سرية أو في تجارة أو سفر، أو غير ذلك من الأمور فيتغيب عن الرسول ﷺ، فترة يترل فيها الوحي، فإذا رجع فقد يفوت عليه شيء كثير، وبعضهم يأخذ في جمع ما تيسر له مما فاته فيقع في ذلك التفاوت بين المصاحف، ولا أدل على ذلك من قصة عمر بن الخطاب وجاره من الأنصار قال: (كنت أنا وَجَارٌ لي من الْأَنْصَارِ في بَنِي أُمَيَّةَ بن زَيْدٍ وَهِيَ من عَوَالِي الْمَدِينَةِ وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ على رسول اللَّهِ ﷺ يَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا فإذا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِخَبَرِ ذلك الْيَوْمِ من الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ وإذا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذلك ...)[1].

٢- قد تكون بعض الزيادات والإضافات في بعض المصاحف هي من قبيل الروايات التفسيرية، وبيان للمعاني، ولأنه كان مصحفاً خاصاً بصاحبه فقد يدون فيه ما يريد من روايات تفسيرية لذا جاء في بعض المصاحف ما لم يجيء في غيرها من تفسيرات لا تعد قرآنا وقد أوضح ذلك ابن الجزري فقال: (وربما يدخلون التفسير في القراءات إيضاحاً وبياناً، لأنهم محققون لما تلقوه عن النبي ﷺ قرآناً، فهم آمنون من الالتباس، وربما كان بعضهم يكتبه معه)، ومثال ذلك: ما حكي أن عبد الله بن مسعود ﷺ قرأ: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾[2]، قرأها: (فوسوس لهما الشيطان)، قال أبو حيان: "وهذه القراءة مخالفة لسواد المصحف المجمع عليه ، فينبغي أن تجعل تفسيراً[3]"، ومن هذا السبب يتبين لنا سبباً آخر وهي النقطة التالية.

١- قد ينسب إلى الإنسان ما لم يصح عنه، ولذلك قال الإمام الطبري: "القراءة التي

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، بَاب مَوْعِظَةِ الرَّجُلِ ابْنَتَهُ لِحَالِ زَوْجِهَا، برقم: (٤٨٩٥)، (٥/ ١٩٩١).

(٢) البقرة: ٣٦.

(٣) البحر المحيط: (١/ ٣١٣).

تنسب إلى عبد الله و لم يقل قراءة ابن مسعود، والشيء قد ينسب إلى الإنسان وهو غير صحيح عنه[1]".

٢- قد يطلق لفظ (مصحف فلان) على بعض القراءات التي تنسب إليه كما نسب إلى حمزة بن عبد المطلب مصحفاً وهو الذي استشهد في غزوة أحد، قبل اكتمال القرآن بثمانية أعوام، فهذا نوع من الاصطلاح[2].

٣- وقد يكون في بعض المصاحف بعض أوجه القراءات الشاذة الآحادية التي لا ترقى أن تكون قرآنا، فالقرآن لا يثبت إلا بالتواتر، وقد تحمل قراءات شاذة لا تعد من القرآن لذلك لم تكتب بالمصحف الأمام، ومثل هذا كثير، وعلى سبيل المثال: في قوله: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾ [3] قرئت (وإذا الموءودة سألت) وهي قراءة شاذة نسبت لأبي بن كعب[4] فلذلك لم تثبت في المصحف الإمام قال أبو حيان: "وكذا ما ورد عن عبد الله بن مسعود وعن غيره مما خالف سواد المصحف، وأكثر قراءات عبد الله إنما تنسب للشيعة. وقد قال بعض علمائنا: إنه صح عندنا بالتواتر قراءة عبد الله على غير ما ينقل عنه مما وافق السواد، فتلك إنما هي آحاد، وذلك على تقدير صحتها، فلا تعارض ما ثبت بالتواتر"[5]

٤- وقد تكون من ما نسخت تلاوته، وما لم يكن في العرضه الأخيرة ... وغير ذلك[6]، ولا أدل على أن الصحابة -رضي الله عنهم- أجمعوا على المصحف الإمام، ولم يتخلف أحد منهم عن هذا الإجماع، وقد انتهت إليهم قراءات الأئمة السبعة، وما كانت هذه الأمة لتجتمع على ضلالة، بل ويستحيل أن يقع فيه تحريف لكفالة الله له وحفظه ﴿إِنَّا

(١) جامع البيان: (٤/ ١٩٦).

(٢) هذا اصطلاح غير دقيق من بعضهم، وخطره عظيم لأنه يوهم الاختلاف في مصاحف الصحابة والمصحف الإمام، بل ويعمقه، ويشعر باستقلالية كل مصحف. ينظر: المستشرقون والقرآن: (٦٤).

(٣) التكوير: ٨.

(٤) إعراب القرآن: (٥/ ١٥٨).

(٥) البحر المحيط: (١/ ٣١٣).

(٦) ينظر: مواقف المستشرقين من جمع القرآن الكريم ورسمه وترتيبه: (٢٠).

نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [1]. كما أننا نجد في كل مصر وعصر منذ البعثة النبوية إلى الآن من يصوب خطأ القارئ أو الكاتب للقرآن بغير ما ذكر في المصحف الإمام[2].

وإذا وضح هذا فكيف يحق لهذا المستشرق وأمثاله أن يضع هذا العنوان الذي يوحي باختلاف المصاحف؟؟، وكأنها قرآنا آخر غير القرآن الذي بين أيدينا، فما يريد إلا إثارة الشكوك، وإلصاق الطعون في الكتاب الكريم.

ثانياً: قال المستشرق: (ويلزم على هذا أن ما جمعوه كان مخطوطا في مصاحف. وكان كل مصحف من هذه المصاحف مصحفا خاصا بصاحبه جمع فيه ما عثر عليه من السور والايات)[3].

قلت: نعم فمن أين يجمعون القرآن إذاً وهم التزموا بمنهج دقيق محكم يجمع بين المحفوظ والمكتوب، فكان لابد من الرجوع إلى المصاحف المكتوبة ، وإن كان الأصل هو التلقي سماعا .

والجدير الذكر أن هذا المستشرق ذكر في النقطة السابقة أن النبي ﷺ قبض و لم يجمع القرآن في شيء، ونفى أن يكون القرآن مكتوباً في ذلك العهد، ثم هنا يثبت الكتابة كما ذكرنا وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على قصور علمه، وقلة فهمه، وعدم تمكنه من الإطلاع على المصادر الإسلامية، وكتمانه الحقائق العلمية الناصعة، والتي لا توافق قوله كما يزعم.

ثالثاً: قال: (أما المصحف الّذي كتبه زيد بن ثابت لأبي بكر الصديق فكان أيضا في رأي المستشرقين مصحفا خاصا لا رسميا كما زعم بعضهم)[4].

هو يعيد ويكرر رأي المستشرقين، فيقول في هذه أن مصحف زيد بن ثابت

(١) الحجر: ٩.

(٢) المستشرقون والقرآن: (٦٢).

(٣) مقدمة كتاب المصاحف، تحقيق: آرثر جفري (٦).

(٤) المصدر السابق.

خاص وغير رسمي، فأقول: نعم مصحف خاص وفريد من نوعه من جهة تدوينه، ونسخه بأمر الخليفة الراشد ليكون مرجعا للناس، وإجماع الصحابة –رضي الله عنهم– عليه، وقبولهم له بلا معارض.

أما قوله: لا رسمياً فكيف يكون كذلك وزيد حين كلفوه بالكتابة كنسخة رسمية قال: (فَوَ اللَّه لو كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ من الْجِبَالِ ما كان أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ من جَمْعِ الْقُرْآنِ)[1] إن هذا الادعاء لا أساس له من الصحة سواء أكان من جفري ، ولا من كان على شاكلته أمثال: (ألفونس منجانا) و(آجنس سميث) في سنة ١٩١٤م الذي نشر كتاباً بعنوان: (ترجمة سريانية قديمة للقرآن تعرض آيات جديدة واختلافات)، كان فيها" أوراق من ثلاثة مصاحف قديمة يمكن أن تكون سابقة للمصحف العثماني، مع قائمة بما فيها من اختلافات".

وأورد جولد زيهر في كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي) الزيادات الموجودة في المصاحف الفردية غير مصحف عثمان ...، وهكذا وجد هؤلاء المستشرقون في موضوع اختلاف المصاحف ميداناً واسعاً لزلزلة العقيدة، وفتح باب الشكوك، لأنهم يعرفون أن الشك في نص يوجب الشك في آخر، فهم يُلِحّون في طلب روايات الاختلاف، وينقلونها من غير تحرز، ويؤيدونها غالبا، ولا ينقدون أسانيدها، ولا يلتفتون إلى آراء علماء المسلمين فيها[2].

المطلب الثالث: حول اختلاف مصاحف الصحابة

عنون المستشرق للنقطة الثالثة: "أخذ مصاحف بعض الصحابة مقاما يعتد به في الامصار".

ملخص ما قاله يشترك مع النقطة السابقة تقريبا، ويكمن في الآتي : أن المصاحف التي اتخذها بعض الصحابة في الأمصار كانت يخالف بعضها بعضا ، ودلل على ذلك بما حصل

(١) سبق تخريجه.

(٢) مواقف المستشرقين من جمع القرآن الكريم ورسمه وترتيبه: (١٨).

في غزوة أذربيجان في بعض القراءة حتى أنكر بعضهم على بعض[1].

الرد على قوله يتضمن مايلي:

أولاً: قول آرثر جفري: كانت هذه المصاحف يخالف بعضها بعضا[2]، أقول: أجبنا في المبحث السابق عن زعمه في اختلاف مصاحف الصحابة[3] ، أما عن اتخاذ بعض الصحابة مصاحف في الأمصار الإسلامية فإن بيانه كما يلي:

١-أنها كانت من قبيل الصحف الخاصة التي دونها بعض أصحابها، وقبل أن يُجمع الناس على مصحف عثمان بن عفان ﷺ، فقد يحفظ الصحابي السورة على حرف واحد غير الحرف الذي يحفظه الآخر، ومن ثمّ ينشأ الخلاف في الأداء.

٢-أن الذي حصل من الإنكار كان بين الذين لم تبلغهم الأحرف السبعة، والذين لم يتلقوا من الرسول ﷺ مشافهة[4].

ثانياً: قول المستشرق: (ولما اجتمع أهل العراق وأهل الشام لغزو مرج أذربيجان كانوا يتنازعون في القراءات حتى أنكر بعضهم على بعض ما كان يقرأه من غير مصحفه زاعما أنه ليس من القرآن، فنشأ عن ذلك الجدل والنزاع)[5].

أقول: كأنه أكثر من لفظ التنازع والجدال، وهو يرمي إلى تصوير المجتمع المسلم، وأنه في حال من التنازع والجدال، ويكاد ينحصر هذا الحال في مواقف قليلة .

ثالثاً: قال بعد ذلك: (وكان كل هذا من تمسك كل منهم بالمصحف المقروء في مصره)[6].

أقول: يظهر من قوله تمسك الصحابة –رضوان الله عليهم– بمصاحفهم، عدم

(١) مقدمة كتاب المصاحف، تحقيق: آرثر جفري (٦).

(٢) مقدمة كتاب المصاحف، تحقيق: آرثر جفري (٦).

(٣) ينظر: ص٤٩ من هذا البحث.

(٤) ينظر: كتاب المصاحف، تحقيق: محب الدين واعظ: (١١٥).

(٥) مقدمة كتاب المصاحف، تحقيق آرثر جفري (٦).

(٦) ينظر: المصدر السابق.

قبولهم مصحف عثمان الإمام، وهذا لم يكن منه شيئاً، والجميع مجمعون على مصحف عثمان ولم يشذ منه أحد، كما أن أهل كل مصر وقطر رجعوا إلى مصحف عثمان ﷺ المرسل إليهم، ولم يكن هناك أي تنازع أو اختلاف بعد ذلك [1].

المطلب الرابع: حول جمع عثمان بن عفان - رضي الله عنه -

عنون المستشرق للنقطة الرابعة: بجمع عثمان الناس على حرف واحد.

ملخص ما قاله يكمن في الآتي : أن سبب جمع عثمان ﷺ كان بسبب اختلاف المصاحف فأمر زيد بن ثابت بتأليف ما في أيدي أهل المدينة من القرآن لا على أن يكون هذا الجمع والتأليف مصحفا لأهل المدينة فقط ..، بل جمعه ليكون المصحف الرسمي لجميع أمصار الاسلام كما زعم.

الرد على قوله يتضمن مايلي:

أولاً: ذكر المستشرق رواية حذيفة بن اليمان، وأقحم في آخرها ما ليس منها، مما هو من إضافته وتشكيكه ليصل إلى ما يريد فقال: (روى أن حذيفة بن اليمان كان مع الجنود في فتح أذربيجان وسمع ما كان بين الناس من الجدل والنزاع في قراءاتهم فركب إلى عثمان بن عفان وقال له: يا أمير المؤمنين! أدرك هذا القوم قبل أن يختلفوا في القرآن اختلاف اليهود والنصارى، فوقف عثمان بين الناس وقال: من بيده شيء من كتاب الله فليأت به، فأتوا بما عندهم على عسب وأكتاف وأوراق وصحف وما عدا ذلك)[2] ثم تأمل ما قال بعد ذلك: وأرسل إلى زيد بن ثابت وأعد له رهطا من أهل قريش وأمرهم بأن يجمعوا القرآن في مصحف، فجمعوا القرآن من الصحف ومن شقف مخطوطة ومن صدور الناس، وكانوا لا يتقبلون شيئا إلاّ إذا شهد له شاهدان).

والحديث الذي روي في البخاري: (أَنَّ حُذَيْفَةَ بن الْيَمَانِ قَدِمَ على عُثْمَانَ وكان

(١) ينظر: كتاب المصاحف، تحقيق: محب الدين واعظ: (١١٥).

(٢) مقدمة كتاب المصاحف، تحقيق: آرثر جفري (٦).

يُغَازِي أَهْلَ الشام في فَتْحِ إِرْمِينِيَةَ وَأَذْرَبِيجَانَ مع أَهْلِ الْعِرَاقِ فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلَافُهُمْ في الْقِرَاءَةِ فقال حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ: يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَدْرِكْ هذه الْأُمَّةَ قبل أَنْ يَخْتَلِفُوا في الْكِتَابِ اخْتِلَافَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إلى حَفْصَةَ أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا في الْمَصَاحِفِ ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ فَأَرْسَلَتْ بها حَفْصَةُ إلى عُثْمَانَ فَأَمَرَ زَيْدَ بن ثَابِتٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بن الزُّبَيْرِ وَسَعِيدَ بن الْعَاصِ وَعَبْدَ الرحمن بن الْحَارِثِ بن هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا في الْمَصَاحِفِ وقال عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلَاثَةِ إذا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بن ثَابِتٍ في شَيْءٍ من الْقُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ فَفَعَلُوا حتى إذا نَسَخُوا الصُّحُفَ في الْمَصَاحِفِ رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إلى حَفْصَةَ وَأَرْسَلَ إلى كل أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ من الْقُرْآنِ في كل صَحِيفَةٍ أو مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ ..)[1].

فالواضح من الحديث أن عثمان أمر زيد بن ثابت ومن معه من القرشيين الثلاثة وهم اللجنة التي كلفت بهذا العمل فقد كانت رباعية، إذا استثنيا زيد بن ثابت الذي كان مدنياً من الأنصار، لاحظنا أن الأعضاء الثلاثة الباقين كلهم مكيون من قريش، وهؤلاء الأربعة جميعاً ثقات الصحابة وأفاضلهم وكان مستندهم إلى الأصل الذي جمع في عهد أبي بكر ﷺ، أمرهم عثمان أن ينسخوا المصاحف -وكان الجمع في عهد عثمان ﷺ على تلك الصفة وهي النسخ فقط-[2] لا أن يجمعوا القرآن من صحف وشقف مخطوطة ومن صدور الناس فهو لبّس بين جمع أبي بكر وعثمان- رضي الله عنهما-، ويضيف قائلاً: وكانوا لا يتقبلون شيئا إلاّ إذا شهد له شاهدان، ومعلوم أن هذا كان في عهد أبي بكر الصديق ﷺ[3] فكيف يخلط هذا المستشرق بين أمرين واضحين ويلّبس في هذا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: في كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، برقم (٤٧٠٢)، (١٩٠٨/٤).

(٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: (١٥٧)، دراسات في علوم القرآن: (٩٠).

(٣) لأن لزيد ﷺ منهج في جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق ﷺ كان يقوم على أسس أربعة كان منها ما ذكره المستشرق وهي الأول: ما كُتِبَ بين يدي رسول الله ﷺ. الثاني: ما كان محفوظًا في صدور الرجال الثالث: أن لا يقبل شيئًا من المكتوب حتى يشهد شاهدان على أنه كُتب بين يدي الرسول ﷺ=

الموضوع، وهذا بلا ريب مما ينبئ بتدليسه وتعتيمه للحقائق الثابتة الناصعة. والذي يبين تناقضه: أنه قال فيما بعد (فكانت هذه الصحف مصدر لمصحف عثمان ﷺ) مما يدل على أنهم نسخوا من هذا المصدر، وكان الجمع في ذلك العهد هو مجرد نسخ لا جمع من صحف وشقف مخطوطة ومن صدور الناس كما زعم.

ثانياً: قال آرثر جفري: (وقيل: إن عثمان أرسل إلى حفصة أن ترسل إليه الصحف التي نسخها زيد بن ثابت بأمر أبي بكر الصديق فكانت هذه الصحف مصدر نص مصحف عثمان الجديد)[1].

أقول: ذكر المستشرق هذا القول بصيغة تمريض وهو -كما مرّ سابقاً- أنه من الحديث الصحيح الثابت في صحيح البخاري جاء فيه: (فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ)[2] فكيف يأتي بهذه الصيغة الواهية، ثم يزيد في تلبيسه وتعتيمه فيقول: فكانت هذه الصحف مصدر نص مصحف عثمان الجديد، فهو بلفظ الجديد يوحي وكأن هناك اختلاف بين نص القرآن المجموع في عهد أبي بكر، وبين الجديد كما يزعم الذي نسُخ على ما جمع سابقاً، ثم إن قوله مصدر نص مصحف عثمان الجديد: بلفظ الجديد يوحي وكأن بينه وبين ماجمعه زيد بن ثابت في عهد أبي بكر ﷺ اختلاف، وتطور فأصبح ذلك قديم، وهذا جديد، وهو ذاته لا فرق بينهما.

قال السخاوي معناه: "من جاءكم بشاهدين على شيء من كتاب الله الذي كتب بين يدي رسول الله ﷺ"، الرابع: أن لا يقبل من صدور الرجال إلا ما تلقوه من فم الرسول ﷺ فإن عمر ﷺ ينادي: "من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئًا من القرآن فليأتنا به" ولم يقل من حفظ شيئًا من القرآن فليأتنا به.
ينظر: جمع القرآن في عهد الخلفاء الراشدين للدكتور الرومي ، بحث مقدم لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة النبوية.

(١) مقدمة كتاب المصاحف، تحقيق: آرثر جفري (٦).
(٢) سبق تخريجه.

ثالثاً: وقال بعدها: (ولما فرغوا من جمع هذا المصحف وكتابته)[1] بعبارته هذه يثبت أن الجمع في عهد عثمان كان جمع من صحف، وكتابة، وهو غير ذلك لأن العلماء فرقوا بين جمع القرآن في عهد أبي بكر وجمعه في عهد عثمان لإزالة هذا اللبس، وذكروا فروقًا.

قال القاضي أبو بكر في الانتصار: "لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع القرآن بين لوحين وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي ﷺ وإلغاء ما ليس كذلك"[2] وقال ابن التين وغيره: "الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان أنّ جمع أبي بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته لأنه لم يكن مجموعًا في أي موضع واحد فجمعه في صحائف مرتّبًا لآيات سُوَرِه على ما وقّفهم عليه النبي ﷺ وجمع عثمان كان لمّا كثُر الاختلاف في وجوه القراءة حتى قرؤوه بلغاتهم على اتساع اللغات فأدّى ذلك بعضهم إلى تخطئة بعض فخشي من تفاقم الأمر في ذلك فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتبًا لسوره ، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش"[3].

ثم قال: (وبعث عثمان بنسخ منه إلى الأمصار، وأمر بإحراق ما عداها من صحف أو مصاحف) أما قرار عثمان ﷺ بإحراقها كان حكيما بلا ريب لأن بقاءها كان يزيد في أسباب الشقاق، ولا سيما وقد بعد عهد الناس برسول الله ﷺ.

وقد وقع عمل عثمان من قلوب الناس موقع القبول والاستحسان ، ولم يقدم عليه إلا بعد مشورة وتأييد من الصحابة الكرام، قال علي ﷺ: (لا تقولوا في عثمان إلا خيرًا، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا)[4] وعند ابن أبي داود قال: قال علي ﷺ في المصاحف (لو لم يصنعه عثمان لصنعته)[5] والذي نعلمه علم اليقين

---

(١) مقدمة كتاب المصاحف، تحقيق: آرثر جفري (٦).
(٢) البرهان في علوم القرآن: (١/ ٢٣٥) .
(٣) الإتقان في علوم القرآن: (١/ ٥٩).
(٤) فتح الباري لابن حجر: (٩/ ١٨).
(٥) المصاحف لابن أبي داود: (١٩).

ويعلمه كل باحث منصف أن كتاباً غير القرآن لم يحط بالعناية التي أحيط بها ولم يصل بالتواتر كما وصل، فجاء أكمل وأدق مما يتوقعه أي إنسان، ولا غرو فهو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

رابعاً: قال آرثر جفري: (وزعم بعض العلماء أن عثمان إنما أخذ من حفصة النص الرسمي الّذي كتبه زيد ابن ثابت لأبي بكر ... إلى أن قال: ونحن نرتاب ونشك في هذين الرأيين لأن ما أدى إليه بحثنا في أحاديث جمع القرآن هو أن اختلاف مصاحف الأمصار كان سببا في أن عثمان أمر زيد بن ثابت بتأليف ما في أيدي أهل المدينة من القرآن لا على أن يكون هذا الجمع والتأليف مصحفا لأهل المدينة فقط كما كانت نسخة ابن مسعود مصحفا لأهل الكوفة ونسخة أبي موسى مصحفا لأهل البصرة، بل جمعه ليكون المصحف الرسمي لجميع أمصار الإسلام)[1].

ويكرر خطأه المتعمد على قول العلماء الصحيح بأنه –في رأيه– زعم من الباطل، ويلبس في أقوالهم الصحيحة فيقول: (ونسخ هذا النص الرسمي بلغة قريش لأن العرب كانوا يقرءون القرآن بلغات مختلفة، وأقول ليست لغات لان لغة القرآن واحدة، وإنما هي أحرف سبعة كما جاء بذلك الحديث[2]، ويذكر الرأي الثاني للعلماء، ويلبس فيه أيضاً فيقول: أن عثمان إنما أتم ما ابتدأ به عمر بن الخطاب) وهذا لا يقوله أدنى من كان له علم

(١) مقدمة كتاب المصاحف، تحقيق: آرثر جفري (٦).

(٢) الذي ورد في صحيح مسلم، عن أُبَيّ بن كَعْب أَنَّ النبي ﷺ: (كان عِنْدَ أَضَاةِ بَنِي غِفَارٍ قال فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السَّلَام فقال إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ على حَرْفٍ فقال أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذلك ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فقال إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ على حَرْفَيْنِ فقال أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذلك ثُمَّ جَاءَهُ الثَّالِثَةَ فقال إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ على ثَلَاثَةِ أَحْرُفٍ فقال أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذلك ثُمَّ جَاءَهُ الرَّابِعَةَ فقال إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ على سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَأَيُّمَا حَرْفٍ قرأوا عليه فَقَدْ أَصَابُوا) ينظر: صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف وبيان معناه برقم: (١٣٥٧)، (١/ ٥٦٢).

في علوم القرآن وفي جمعه، فكيف تذكر أيها المستشرق المروي عن حذيفة بن اليمان وتبين أن السبب كان اختلاف الناس في عهد عثمان، وتقول أن عثمان ﷺ أتم ما ابتدأ به عمر ﷺ، وإنما كان موقف عمر واضح في عهد أبي بكر ﷺ من الإشارة عليه بجمعه، لكن هذا التناقض ينبئ عن تهافت دعاوى هؤلاء المستشرقين، ويبين أيضاً التعتيم وعدم الوضوح في منهجية هؤلاء الباحثين.

ثم يبين موقفه منهما فيقول: (ونحن نرتاب ونشك في هذين الرأيين لأن ما أدى إليه بحثنا في أحاديث جمع القرآن هو أن اختلاف مصاحف الأمصار كان سببا في أن عثمان أمر زيداً ...) ومن النص الصحيح الذي ورد عند البخاري عن حذيفة ظهر جلياً أن اختلاف المسلمين في قراءة القرآن كان الباعث الأساسي على أمر عثمان باستنساخ الصحف التي كانت عند حفصة –رضي الله عنها– وجمعها في مصاحف. . وكما يشك في أقوال علمائنا وفي أقوالهم الصحاح، فبالمقابل نرد قوله لما فيه من خطأ بيّن، وزلل ظاهر وهو أن سبب جمع عثمان ﷺ هو اختلاف القراءة فيما بينهم كما أخبر حذيفة بن اليمان عثمان بن عفان وليس اختلاف المصاحف فلم يكن حينئذٍ مصاحف معتمده وإنما كانت في صحف وألواح لكل صحابي على حدة، كما وضحنا ذلك في المبحث الأول[1].

وأما قوله: (أن عثمان أمر زيد بن ثابت بتأليف ما في أيدي أهل المدينة من القرآن لا على أن يكون هذا الجمع والتأليف مصحفا لأهل المدينة فقط ...، بل جمعه ليكون المصحف الرسمي لجميع أمصار الإسلام)[2].

أقول هنا يكرر خطاة في أن زيد ﷺ جمع وألف مصحفاً، والصواب أنه نسخ فقط من ما جمعه في عهد أبي بكر، والذي نسخ منه ما كان عند حفصة بعد استشهاد عمر بن الخطاب ﷺ، و لم يكن مما في أيدي أهل المدينة.

فتأمل هذا التدليس من هذا المستشرق، وكل إناء بما فيه ينضح، ولقد نضح وظهر

(١) ينظر: المطلب الأول (٣٤).

(٢) مقدمة كتاب المصاحف، تحقيق: آرثر جفري (٧).

جحوده وحقده وإنكاره للحق وأهله، وكما قد تبين موقفه من جمع عثمان ﷺ فقد تبين أيضاً موقف قرنائه من المستشرقين فهذا "كازانوفا" يصرح بارتيابه من جمع عثمان ﷺ، ويأتي بأغرب رأي وأجرئه في عالم الدراسات القرآنية ويقول: (ما جمعُ عثمان للمصحف -في نظره- إلا قصة وهمية أُحكم نسجها في عهد الخليفة عبد الملك ابن مروان توطئة للمبالغة في شأن التحسينات التي أدخلت على رسم المصاحف في عهد الخليفة المذكور)[1]، وهذا بلاشير يشكك في نيات عثمان في جمع القرآن، ويقول أنه سعى إلى تحقيق هذا العمل العظيم بدافع من نزعته "الأرستقراطية" فلم يجمع كتاب الله بزعمهم، إلا باسم الطبقة الأرستقراطية المكية التي كان خير ممثل لها ..)[2] تشرّف عثمان عن هذا، ورفع الله قدرة وأعلى ذكره، وجمعنا به في مستقر رحمته.

المطلب الخامس: حول نشأة القراءات من خلو مصحف عثمان من النقط والشكل

عنون المستشرق للنقطة الخامسة: خلو مصحف عثمان من النقط والشكل.

ملخص ما قاله يكمن في الآتي: أن المصاحف التي أرسلها عثمان بن عفان ﷺ كان فيها خلافٌ بين حروفها، وكانت خاليةً من النقط والشكل، -وذكر لذلك أمثلة- مما جعل القراء يختارون من القراءة ما شاءوا، وعلى حسب تأويلهم للآية، فكانت قراءات مشهورة في ذلك البلد وتبعها الناس دون غيرها. فظهرت القراءات للقرّاء المشهورين من هذه الأمصار.

الرد على قوله يتضمن ما يلي:

أولاً: قال: (وجد القرّاء في المصاحف الّتي بعثها عثمان للأمصار اختلافا في بعض الحروف، فكان في مصحف الكوفة (عملت) وفي غيره (عملته) وعدد أمثلة لذلك ...

(١) ينظر: مباحث في علوم القرآن للشيخ صبحي الصالح (٨٠).

(٢) ينظر: الشبكة العنكبوتية على الرابط:
http://www.bab.com/persons٤٥٦/show_particle.cfm?article_id=

قال: وكانت هذه المصاحف كلها خالية من النقط والشكل، فكان على القارئ نفسه أن ينقط ويشكل هذا النص على مقتضى معاني الآيات)[1].

أقول: هذا وأيم الله إنه لطعن واضح وظاهر في كتاب الله، وفيه إثبات التحريف والتغيير في آي القرآن الذي أكد سبحانه على حفظه من أيدي العابثين قال عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[2]، وكأنه في هذا الزعم يثبت أن الناس في ذلك العهد كانوا يختارون من القراءة ما يشاءون وفق المعنى -على حد قوله -، لأن المصاحف كانت خالية من النقط والشكل، وهذا له بيان جهلها أو تجاهلها هذا الجاهل الجهول وهي:

١-لم تكن جميع الكلمات خالية من النقط والشكل، وإنما الكلمات التي كانت خالية هي التي تواتر فيها أكثر من قراءة فكتبت برسم واحد يحتمل القراءتين أو القراءات فيها جميعاً مثل ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[3] قرأت (فتثبتوا)، وغيرها، ومثل لها الكاتب بقوله: (تعلمه)، (يعلمه)، (نعلمه)[4]، وهذا كان مقصودا

(١) مقدمة كتاب المصاحف، تحقيق: آرثر جفري (٧).

(٢) الحجر: ٩.

(٣) البقرة: ٦.

(٤) قد فندها الأستاذ البيلي في كتابة الاختلاف بين القراءات (١٠٢) فاستعرض أحوال ورود هذا الهيكل الكتابي المحتملة في اللغة العربية، وما تقتضيه كل حال منها من أسلوب مرتبط أيضاً بسياق الجملة، ثم قدم حصرا لورود هذا الهيكل الكتابي في تسعة مواضع من القرآن الكريم جاء في خمسة منها فعلاً مضارعاً، وجاء في أربعة منها مصدراً مجروراً بالباء مضافاً إلى ضمير المفرد الغائب، وذكر نصوصها ثم قال: (ولو كان جفري ملِمّاً بأساليب اللغة العربية وقواعد تركيبها لأدرك أن الهيكل الكتابي الذي مثل به لا يخلو أمره من حالتين، إحداهما: أن يكون فعلاً مضارعاً مبدوءا بالنون أو الياء أو التاء. والحالة الأخرى أن يكون مصدراً مجروراً بالباء مضافاً إلى ضمير المفرد الغائب، وأول الفعل المضارع يحكمه السياق ... ثم أورد الهيكل المرسوم ... ليرى القارئ بالبرهان الاستقرائي فساد ما ذهب إليه آرثر جفري من أن القارئ في المصاحف العثمانية، كان حرا في نقط النص القرآني وشكله حسب تأويله للآية... ومن هنا يدرك القارئ أن جفري باستدلاله على دعواه بهذا الهيكل الكتابي الذي=

ليحمل الرسم القراءات الصحيحة الثابتة وفي هذا يقول الحافظ ابن الجزري: "ثم إن الصحابة -رضي الله عنهم- لما كتبوا تلك المصاحف جَرَّدوها من النقط والشكل ليحتمله مما لم يكن في العَرْضة الأخيرة مما صحَّ عن النبي ﷺ وإنما أخْلَوا المصاحف من النقط والشكل لتكون دلالة الخط الواحد على كلا اللفظين المنقولين المسموعين المتلوين شبيهة بدلالة اللفظ الواحد على كلا المعنيين المعقولين المفهومين"[1].

٢- أما الكلمات التي ورد فيها قراءات برسم غير الرسم الآخر؛ فهذه كانت تكتب في مصحف برسم يدل على قراءة، وفي آخر برسم يدل على قراءة أخرى مثل: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[2] قرئت (وأوصى) ومثل له الكاتب بقوله و(بالزبر)، وفي قراءة أخرى (الزبر) وكان هذا مقصوداً، ولم يكن خطأ كما زعم. قال الإمام أبو عمرو الداني: "فإن سأل سائل عن السبب الموجب لاختلاف مرسوم هذه الحروف الزوائد في المصاحف؟ قلت: السبب في ذلك عندنا أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ لمَّا جمع القرآن في المصاحف، ونسخها على صورة واحدة، وآثر في رسمها لغة قريش دون غيرها مما لا يصح ولا يثبت، نظرا للأمة واحتياطا على أهل الملة، وثبت عنده أن هذه الحروف من عند الله عز وجل كذلك منزّلة، ومن رسول الله ﷺ مسموعة، وعلم أنَّ جَمْعَها في مصحف واحد على تلك الحال غير متمكن إلا بإعادة الكلمة مرتين، وفي رسم ذلك كذلك من التخليط والتغيير للمرسوم ما لا خفاء به، ففرَّقها في المصاحف لذلك، فجاءت مثبتة في بعضها ومحذوفة في بعضها؛ كي تحفظها الأمة كما نزلت من عند الله عزَّ وجل وكما سمعت من رسول الله ﷺ فهذا

ذكره خبط عشواء، وسار في الظلماء، ولو قد كان جفري رجع إلى مضارع (علم) ومصدره المجرور بالباء في القرآن الكريم لأدرك فساد برهانه، ولم يكن في عالم الفكر والبحث من المتخبطين ..)

(١) النشر في القراءات العشر: (١/ ٤٥)، وذكر بنحوه ابن تيمية في كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير: (١٣/ ٤٠٢).

(٢) البقرة: ١٣٢.

سبب اختلاف مرسومها في مصاحف أهل الأمصار"[1].

٣- أن الاختلافات الثابتة بين المصاحف العثمانية من حيث الرسم قليلة فالاختلاف بين مصحفي الكوفة والبصرة كان في خمسة أحرف، وبين مصحف المدينة والعراق في اثني عشر حرفا، وبين مصحفي الشام والعراق في نحو أربعين حرفا.

٤- الاعتماد لم يكن على المكتوب،لأن نقل القرآن اعتمد على الحفظ لا على مجرد الخط ولذلك كان عثمان ﷺ يبعث مع كل مصحف قارئاً، ولم يكتف بإرسال المصاحف وحدها[2].

ثانياً: قال المستشرق: (فكان حينئذ لكل قارئ اختيار في الحروف وكذلك اختيار في الشكل أيضا)[3].

أقول: لو كان كل قارئ يختار من الأحرف ما شاء لظهرت قراءات أخرى غير المتواترة، ولو كانت القراءة تابعة للرسم لصحت جميع القراءات التي وافقت الخط، ويحتملها الرسم، ولكن الأمر توقيفي عن رسول الله ﷺ، فليست القراءة تابعة للرسم، بل الرسم تابع للمروي عن رسول الله ﷺ المتواتر فقط، بل إن بعضها مما خط المصحف وهو صحيح، وآخر يحتمله خط المصحف ولكن لايصح لعدم وروده عن رسول الله ﷺ بسند صحيح، فلا تجوز القراءة بها. مثال ذلك لفظ كلمة (إياه) في قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾[4]، ويمكن أن تقرأ (أباه) بهمزة، وباء مفتوحة، لكنها قراءة مرفوضة لأنها مما لم يصح سنده. فليست المسألة كما زعم هذا المستشرق ومن كان على شاكلته

---

(١) المقنع في رسم مصاحف الامصار: (١١٨).

(٢) وقد ذكر غير ذلك د. رجب عامر في كتابة " الرؤية الإسشراقية للأحرف السبعة، والقراءات القرآنية " (٥١)، وينظر أيضاً : مواقف المستشرقين من جمع القرآن ورسمه: (٢٠).

(٣) مقدمة كتاب المصاحف، تحقيق: آرثر جفري (٧) .

(٤) التوبة: ١١٤.

أمثال جولد زيهر الذي يقول: "وترجع نشأة قسم كبير من هذه الاختلافات إلى خصوصية الخط العربي، تبعاً لاختلاف النقاط الموضوعة، وعدد تلك النقاط، وإذا فاختلاف تحلية هيكل الرسم بالنقط، واختلاف الحركات، كانا هما السبب الأول في نشأة حركة اختلاف القراءات في نص لم يكن منقوطاً أصلاً، أو لم تتحر الدقة في نقطه أو تحريكه"(١).

ثالثاً: ثم قال بعد ذلك: (وفضلا عن ذلك فقد وقع اختيار بعض القرّاء، كما يتبين ذلك من كتب القراءات، على كثير مما كان في المصاحف الّتي منع عثمان استعمالها)(٢).

أقول: كونه ربط بين خلو المصاحف العثمانية من النقط والشكل وبين نشأة اختلاف القراءات هذه بحد ذاتها مغالطة مكشوفة، وشبهة مدفوعة.

والمعلوم علماً ظاهراً أن القراءات نشأت منذ نزول القرآن على رسول الله ﷺ لأن القراءات القرآنية قد أخذها الصحابة الكرام مباشرة عن الرسول ﷺ، ومعلوم أن الوحي إنما نزل بالقرآن على سبعة أحرف كما جاء بذلك الحديث فعن ابن عبّاس -رضي الله عنهما- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: (أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ على حَرْفٍ فلم أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ حتى انْتَهَى إلى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ)(٣).

ثم يقول: وقع اختيار بعض القرّاء ، على كثير مما كان في المصاحف الّتي منع عثمان استعمالها.

أقول: المصاحف الّتي منع عثمان استعمالها لتوحيد القراءة بين المسلمين، وألا يحصل شقاق أو تنافر بينهم، والقراءات التي بتلك المصاحف أيضاً ثابتة ومتواترة. يقول د. محمد عبد الله دراز: (وفي رأينا أن نشر القرآن الكريم بعناية عثمان كان يستهدف أمرين؛ أولهما: أن في إضفاء صفة الشرعية على القراءات المختلفة التي كانت تدخل في إطار النص

(١) ينظر: الرؤية الإستشراقية للأحرف السبعة والقراءات القرانية: (٥٢).
(٢) مقدمة كتاب المصاحف، تحقيق: آرثر جفري (٧) .
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن، بَاب أُنْزِلَ الْقُرْآنُ على سَبْعَةِ أَحْرُفٍ برقم (٤٧٠٥)، (٤/ ١٩٠٩).

المدون ولها أصل نبوي مجمع عليه وحمايتها، فيه منع لوقوع أي شجار بين المسلمين بشأنها. لأن عثمان كان يعتبر التماري في القرآن نوعاً من الكفر. ثانيهما: باستبعاد ما لا يتطابق تطابقاً مطلقاً مع النص الأصلي، وقاية للمسلمين من الوقوع في انشقاق خطير فيما بينهم، وحماية للنص ذاته من أي تحريف)(١).

ولم يكن للقراء اختيار في ذلك بل كانت القراءة مما أخذها القارئ عن رسول الله ﷺ، ولم يأخذها الآخر كما صحت بذلك الآثار(٢) فكان عليه الصلاة والسلام يقول كذا أنزلت، ويقول للآخر كذا أنزلت.

رابعاً: قال: (ثمّ بعد ذلك ظهرت بالتدريج في كل مصر من الأمصار قراءة كانت مشهورة معهودة في ذلك البلد وتبعها الناس دون غيرها. فظهرت قراءة أهل الكوفة وقراءة أهل البصرة وقراءة أهل الشام وقراءة أهل حمص وقراءة أهل مكة وقراءة أهل المدينة، وهي اختيار القرّاء المشهورين من هذه الأمصار)(٣).

أقول: هذا الخطأ الظاهر البين فكأن القراءات ظهرت من قراءة أهل ذلك البلد، وكيف يكون ذلك والقراءات إنما نزلت بالوحي من السماء، وتفصيل ذلك في المبحث الذي يليه، والله الموفق.

(١) ينظر: مدخل إلى القرآن الكريم (٤٣).
(٢) أَنَّ الْمِسْوَرَ بن مَخْرَمَةَ وَعَبْدَ الرحمن بن عَبْدٍ القارىء حَدَّثَاهُ أَنَّهُمَا سَمِعَا عُمَرَ بن الْخَطَّابِ يقول: سمعت هِشَامَ بن حَكِيمٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ في حَيَاةِ رسول الله ﷺ فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِهِ فإذا هو يَقْرَأُ على حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لم يُقْرِئْنِيهَا رسول الله ﷺ فَكِدْتُ أُسَاوِرُهُ في الصَّلَاةِ فَتَصَبَّرْتُ حتى سَلَّمَ فَلَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ فقلت من أَقْرَأَكَ هذه السُّورَةَ التي سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ قال أَقْرَأَنِيهَا رسول الله ﷺ فقلت كَذَبْتَ فإن رَسُولَ الله ﷺ قد أَقْرَأَنِيهَا على غَيْرِ ما قَرَأْتَ فَانْطَلَقْتُ بِهِ أَقُودُهُ إلى رسول الله ﷺ فقلت إني سمعت هذا يَقْرَأُ بِسُورَةِ الْفُرْقَانِ على حُرُوفٍ لم تُقْرِئْنِيهَا فقال رسول الله ﷺ أَرْسِلْهُ اقْرَأْ يا هِشَامُ فَقَرَأَ عليه الْقِرَاءَةَ التي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فقال رسول الله ﷺ كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ ثُمَّ قال اقْرَأْ يا عُمَرُ فَقَرَأْتُ الْقِرَاءَةَ التي أَقْرَأَنِي فقال رسول الله ﷺ كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ إِنَّ هذا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ على سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فاقرؤوا ما تَيَسَّرَ منه) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: فضائل القرآن، بَاب أُنْزِلَ الْقُرْآنُ على سَبْعَةِ أَحْرُفٍ برقم (٤٧٠٦)، (٤/ ١٩٠٩).
(٣) مقدمة كتاب المصاحف، تحقيق: آرثر جفري (٨).

المطلب السادس: حول القراء السبعة

عنون المستشرق للنقطة السادسة: قوّة اختيار بعض القرّاء.

ملخص ما قاله يكمن في الآتي: أن قراءة بعض القرآء في الأمصار قد قويت ، دون البعض الآخر ، فصارت قاعدة قراءة لأهل مدنهم ، وأسسوا ذلك على مبادئ ثلاثة ، إلى أن جاء ابن مجاهد ورجح اختيار سبعة قراء دون غيرهم بناء على الحديث على حد زعمه ، وقويت قراءة ثلاثة آخرين فأصبحوا عشرة

الرد على قوله يتضمن ما يلي:

أولاً: قال آرثر جفري: (قوي اختيار بعض القرّاء دون البعض في هذه الأمصار المذكورة، فصار اختيار هؤلاء القرّاء في ما بعد قاعدة قراءة أهل مدنهم)[1].

أقول: لم يكن هناك اختيار بل كان اشتهار لبعض القراء دون القراء الآخرين ، وشاء الله لهؤلاء القراء السبعة أو العشرة أن تشتهر قراءاتهم بين الناس، حيث كانت قراءات متصلة السند، روى كل واحد منهم قراءته عن شيخه، حتى وصلت إلى أحد الصحابة إلى رسول الله ﷺ، قال المقدسي: " والقراءة التي عليها الناس بالمدينة ومكة والكوفة البصرة والشام هي القراءة التي تلقوها عن أوليهم تلقياً، وقام بها في كل مصر من هذه الأمصار رجل ممن أخذ عن التابعين، اجتمعت الخاصة والعامة على قراءته، وسلكوا فيها طريقه .."[2].

ثانياً: قال: (وأسس القرّاء اختيارهم على مبادئ ثلاثة، الأول: أن تكون القراءة موافقة لنص المصحف العثماني، الثاني: أن تكون روايتها من الصحابة، الثالث: أن تكون مطابقة للعربية)[3].

أقول: هذه شروط وضوابط للقراءة التي تقبل، وقد كانت متحققة في قراءات

(١) مقدمة كتاب المصاحف، تحقيق: آرثر جفري (٨).
(٢) ينظر : المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز: (١٣٢).
(٣) مقدمة كتاب المصاحف، تحقيق: آرثر جفري (٨).

هؤلاء الأئمة السبعة، وقد اختل شرط من هذه الشروط التي ذكرها المستشرق وهو أن تكون روايتها من الصحابة، والصواب الذي لم يذكره أن تكون القراءة صحيحة السند متواترة إلى رسول الله ﷺ.[1]

ثالثاً: قال المستشرق: (أخيراً في سنة (٣٢٢ هـ) اقترع بينها العلاّمة أبو بكر بن مجاهد، أعلم أهل عصره في علم القراءات، ورجّح اختيار القرّاء السبعة وهم نافع من أهل المدينة ... بناء على الحديث المشهور أن النبيﷺ قال: أُنزل القرآن على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه)[2].

قلت: لم يكن هناك اقتراع كما زعم، وكأنه بقوله هذا يوحي أن الأمر خبط عشواء في ليلة ظلماء، وحاشا العلماء ذلك، فهي طريقة اللاعبين، ولم تكن طريقة العلماء الربانيين وكل ما في الأمر أنه كما وضحه الإمام أبي شامة المقدسي فقال: (أن الرواة عن الأئمة من القراء كانوا في العصر الثاني والثالث كثيراً في العدد، كثيراً في الاختلاف، فأراد الناس في العصر الرابع أن يقتصروا من القراءات التي توافق المصحف على ما يسهل حفظه وتنضبط القراءة به، فنظروا إلى إمام مشهور بالثقة والأمانة في النقل، وحسن الدين، وكمال العلم، واشتهر أمره، وأجمع أهل مصره على عدالته فيما نقل، وثقته فيما قرأ وروى، وعلمه بما يقرئ به، ولم تخرج قراءاته عن خط مصحفهم المنسوب إليهم، فأفردوا من كل مصر وجّه إليه عثمان ﷺ مصحفاً إماما، هذه صفته وقراءاته على مصحف ذلك المصر فكان أبو عمرو من أهل البصرة، وحمزة وعاصم من أهل الكوفة وسوادها، والكسائي من أهل العراق، وابن كثير من أهل مكة، وابن عامر من أهل الشام، ونافع من أهل المدينة، كلهم ممن اشتهرت أمانته وطال عمره في الإقراء، وارتحل الناس إليه من البلدان ..)[3].

(١) ينظر: المدخل إلى علم القراءات: (٥٠).
(٢) مقدمة كتاب المصاحف، تحقيق: آرثر جفري (٨).
(٣) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز: (١٢٣).

أما عن اتهامه ابن مجاهد في أنه ربط بين الحديث وبين ما اقتصر على السبعة، فهذا خطأ بيّن سبق أن قال عنه أبو طاهر عبدالواحد بن أبي هاشم في ما نقله عنه صاحب المرشد الوجيز : " رام هذا الغافل مطعناً في أبي بكر شيخنا ، فلم يجده ، فحمله ذلك على أن قوله قولاً لم يقله هو ولا غيره، ليجد مساغاً إلى ثلبه ، فحكى عنه أنه اعتقد أن تفسير معنى قول النبي ﷺ (إنَّ هذا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ على سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فاقرؤوا ما تَيَسَّرَ منه)[1] أن تلك السبعة الأحرف هي قراءة السبعة القرآء الذين التئم بهم أهل الأمصار، فقال على الرجل إفكاً، واحتقب عاراً .."[2] فالقراء السبعة غير الأحرف السبعة ولم يقل بهذا أحد.

رابعاً: قال آرثر جفري: (ولم يقبل جميع العلماء اختيار ابن مجاهد فاستحسن بعضهم قراءة أبي جعفر المدني وآخر قراءة يعقوب البصري أو قراءة خلف الكوفي، وحتى الآن يعتمد كثير من العلماء قراءة القرّاء العشرة ويثبتون أن كل قراءة رويت عن العشرة هي قراءة متواترة)[3].

أقول: ابن مجاهد —رحمه الله— قام بعمل عظيم إلا إن الفهم الخاطئ الذي نتج عن جهد هذا العالم —وهو فهم كثير من الناس أن قراءة من عدا هؤلاء السبعة لا يصح الأخذ بها— جعل بعض المحققين من العلماء المتأخرين يصنفون كتباً يضمنونها قراءات الأئمة الثلاثة أبي جعفر ويعقوب وخلف —رحمهم الله— وألفت الكتب، ونظمت المتون في قراءاتهم المرضية، الصحيحة[4].

ثم إن حقيقة اختلاف هذه السبعة الأحرف المنصوص عليها من النبي ﷺ اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقض فإن هذا محال أن يكون في كلام الله تعالى قال

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن، بَاب أُنْزِلَ الْقُرْآنُ على سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، برقم: (٤٧٠٥): (٤/ ١٩٠٩).
(٢) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز: (١١٧).
(٣) مقدمة كتاب المصاحف، تحقيق: آرثر جفري (٨).
(٤) ينظر: المدخل إلى علم القراءات: (٥٥).

تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[1] وفي توجيه ذلك قال ابن الجوزي قوله: "وقد تدبرنا اختلاف القراءات كلها فوجدناها لا تخلو من ثلاثة أحوال:

أحدها: اختلاف اللفظ والمعنى واحد، كاختلاف في قوله: (الصراط، وعليهم، ويحسب) ونحو ذلك مما يطلق عليه أنه لغات فقط.

الثاني: اختلافهما جميعاً مع جواز اجتماعهما في شيء واحد، فنحو (مالك، وملك) في الفاتحة لأن المراد في القراءتين هو الله تعالى لأنه مالك يوم الدين وملكه وكذا (يكذّبون، ويكْذبون) لأن المراد بهما هم المنافقون لأنهم يكذّبون بالنبي ﷺ ويَكذِبون في أخبارهم وكذا (كيف ننشرها) بالراء والزاي لأن المراد بهما هي العظام وذلك أن الله أنشرها أي أحياها وأنشزها أي رفع بعضها إلى بعض حتى التأمت فضمن الله تعالى المعنيين في القراءتين.

الثالث: اختلافهما جميعاً مع امتناع جواز اجتماعهما في شيء واحد بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد، فنحو ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾[2] بالتشديد والتخفيف ... فإن ذلك وإن اختلف لفظاً ومعنى وامتنع اجتماعه في شيء واحد فإنه يجتمع من وجه آخر يمتنع فيه التضاد والتناقض. فأما وجه تشديد (كذبوا) فالمعنى وتيقن الرسل أن قومهم قد كذبوهم.

ووجه التخفيف وتوهم المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به فالظن في الأولى يقين والضمائر الثلاثة للرسل والظن في القراءة الثانية شك والضمائر الثلاثة للمرسل إليهم ... "**فليس في شيء من القراءات تناف وتضاد ولا تناقض**"[3].

(١) النساء: ٨٢.
(٢) يوسف: ١١٠.
(٣) ينظر: النشر في القراءات العشر: (١/ ٦٦).

المطلب السابع: حول انتشار قراءة حفص عن عاصم -رحمهما الله-

عنون المستشرق للنقطة السابعة: ترجيح وتعميم قراءة حفص.

ملخص ما قاله يكمن في الآتي: هناك رواة كثيرون، ومن مجموع روايات الرواة برزت روايتين لكل قارئ، واشتهرت منها على غيرها ثلاثة، ومن هذه الثلاثة رواية حفص عن عاصم.

الرد على قوله يتضمن مايلي:

أولاً: قوله: "ترجيح"، ليس بين القراءات الصحيحة المتواترة ترجيح فكلها في المنزلة والمرتبة على سواء، ومما يدل على ذلك بين العلماء إذا ظهرت قراءتان صحيحتان في آية فإنه لا ترجيح بين تلك القراءتان، لأنهما بمنزلة واحدة والترجيح يكون للمعنى الذي تدل عليه القراءة وليس للقراءة[1].

ثانياً: قوله: "لكلٍ من القرّاء العشرة رواة كثيرون فانتخب الناس بعد حين من مجموع روايات الرواة روايتين لكل قارئ، فاستحسنوا من روايات رواة نافع رواية ورش ورواية قالون ..."[2].

أقول: تأمل انتقاءه في الألفاظ، فلفظ (انتخب الناس)، وقوله: (استحسنوا من روايات)، وكأن الأمر على ما يستحسنه الناس ويقبلونه لا على شروط وضوابط، وقد فصلتها سابقاً، ولاعجب منه في ذلك فهو يرى غيره بعين طبعه.

ثالثاً: قوله: "واستمرت هذه الروايات معمولا بها في كل عصر إلى أن فاقت ثلاثة منها على غيرها؛ ... قال: ثمّ نشرت رواية حفص حتى تغلبت على رواية الدوري كافة وتغلبت أيضا على رواية ورش إلاّ في المغرب، فبقيت رواية حفص عن عاصم الكوفي القراءة المشهورة. المستعملة في أيامنا في أكثر بلاد العالم الاسلامي"[3].

(١) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١/ ٨٩).
(٢) مقدمة كتاب المصاحف، تحقيق: آرثر جفري (٨).
(٣) مقدمة كتاب المصاحف، تحقيق: آرثر جفري (٩).

أقول: ليست المسألة مسألة تغلب قراءات على قراءات ولكن هناك أسباب لانتشار رواية حفص عن عاصم الكوفي منها:

١-عدم وجوب القراءة بكل القراءات؛ قال تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1].

وجاء في صحيح البخاري من قوله ﷺ: (إِنَّ هذا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ على سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فاقرؤوا ما تَيَسَّرَ منه)[2]، وهذا يفيد اختيار الأيسر، ويفيد عدم وجوب القراءة بكل الروايات، ولو كان واجبًا لوقع الاهتمام الشديد بكل الروايات، وكان لها الانتشار كرواية حفص أو أشد.

٢- اشتهرت روايته عن عاصم بن أبي النجود في الكوفة وكانت دار الخلافة حينئذ، يفد إليها العلماء وطلاب العلم، وكان حفص متفرغًا للإقراء عن غيره من القراء، ولما انتقلت الخلافة إلى بغداد انتقل حفص إليها، والذي يغلب على الظن أن هذه القراءة ظلت تتنقل مع الدولة في دور الخلافة من عصر إلى عصر؛ قراءة وتعليمًا وكتابة في المصاحف حتى في عصرنا هذا.

٣- إتقان حفص لروايته عن عاصم، وقوة سنده من الأسباب المهمة في انتشار روايته؛ إذ يقول الشاطبي: فَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ وَعَاصِمٌ اسْمُهُ فشُعْبَةُ رَاوِيهِ الْمُبَرِّزُ أَفْضَلاَ

(١) المزمل: ٢٠.
(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن، بَاب أُنْزِلَ الْقُرْآنُ على سَبْعَةِ أَحْرُفٍ برقم: (٤٧٠٥)، (٤/ ١٩٠٩).

أقول: ليست المسألة مسألة تغلب قراءات على قراءات ولكن هناك أسباب لانتشار رواية حفص عن عاصم الكوفي منها:

١-عدم وجوب القراءة بكل القراءات؛ قال تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [1].

وجاء في صحيح البخاري من قوله ﷺ: (إِنَّ هذا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ على سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فاقرؤوا ما تَيَسَّرَ منه)[2]، وهذا يفيد اختيار الأيسر، ويفيد عدم وجوب القراءة بكل الروايات، ولو كان واجبًا لوقع الاهتمام الشديد بكل الروايات، وكان لها الانتشار كرواية حفص أو أشد.

٢- اشتهرت روايته عن عاصم بن أبي النجود في الكوفة وكانت دار الخلافة حينئذ، يفد إليها العلماء وطلاب العلم، وكان حفص متفرغًا للإقراء عن غيره من القراء، ولما انتقلت الخلافة إلى بغداد انتقل حفص إليها، والذي يغلب على الظن أن هذه القراءة ظلت تتنقل مع الدولة في دور الخلافة من عصر إلى عصر؛ قراءة وتعليمًا وكتابة في المصاحف حتى في عصرنا هذا.

٣- إتقان حفص لروايته عن عاصم، وقوة سنده من الأسباب المهمة في انتشار روايته؛ إذ يقول الشاطبي: فَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ وَعَاصِمٌ اسْمُهُ فشُعْبَةُ رَاوِيهِ الْمُبَرِّزُ أَفْضَلاَ

(١) المزمل: ٢٠.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن، بَاب أُنْزِلَ الْقُرْآنُ على سَبْعَةِ أَحْرُفٍ برقم: (٤٧٠٥)، (٤/ ١٩٠٩).

وَذَاكَ ابْنُ عَيَّاشٍ أَبُو بَكْرٍ الرِّضَا وَحَفْصٌ وَبِالْإِتْقَانِ كَانَ مُفَضَّلاَ[1] ، وذلك أن حفصًا كان ربيب شيخه عاصم بن أبي النجود، وكان معه في دار واحدة.فثناء الفقهاء والعلماء على إتقانه وضبط قراءته أدى إلى الإقبال الشديد على روايته.

٤- إن قراءة حفص يسيرة سهلة الأداء، والنفس ترغب في التيسير والرواية ليس فيها عمل كثير إضافي كالإمالة الكثيرة وأيضًا المد المشبع في المنفصل والمتصل، والسكت المتكرر على الهمز الذي قبله ساكن موصولاً كان أم مفصولاً، وهذا يعد عاملاً آخر للإقبال على رواية حفص .

٥- كثرة التصنيف في قراءة عاصم ونافع...،من ذلك حال عدد من علماء الشام ومصر مع قراءة

عاصم،وحال علماء الغرب الإسلامي مع قراءة نافع برواية ورش من طريق الأزرق.

٦- كما تعد أيضًا طباعة المصاحف برسم قراءة حفص؛ عاملاً أساسًا في انتشار هذه الرواية على مر العصور، اللهم إلا النذر من بلاد المغرب وإفريقيا؛ الذي بدأ يغزوها هذا الانتشار الواسع لمطبوعات المصاحف الجديدة.

٦- الإذاعات والمرئيات بمختلف أنواعها؛ من القديم إلى الحديث كان الغالب فيها إذاعة رواية حفص وهذا شيء ملحوظ ومشاهد.

٧- تدريس القرآن برواية حفص في المدارس والمعاهد والجامعات والكتاتيب في أغلب الأقطار.

٨- وثمة سبب لعله هو أقوى الأسباب وأهمها: أن الله عزَّ جلَّ قد وضع لهذه الرواية القبول والإقبال، لأسباب نعلمها أو لا نعلمها؛ فهي مع ذلك لا تنفي القراءات الأخرى وأهميتها، ولا تحط من شأنها فكلٌّ كلام رب العالمين، وتنزيل من حكيم حميد. والله تعالى أعلى وأعلم.[2]

(١) ينظر: الشاطبية: (٣).

(٢) ينظر الشبكة العنكبوتية على الرابط:

وَذَاكَ ابْنُ عَيَّاشٍ أَبُو بَكْرٍ الرِّضَا وَحَفْصٌ وَبِالإِتْقَانِ كانَ مُفضَّلاً[1] ، وذلك أن حفصًا كان ربيب شيخه عاصم بن أبي النجود، وكان معه في دار واحدة.فثناء الفقهاء والعلماء على إتقانه وضبط قراءته أدى إلى الإقبال الشديد على روايته.

٤- إن قراءة حفص يسيرة سهلة الأداء، والنفس ترغب في التيسير والرواية ليس فيها عمل كثير إضافي كالإمالة الكثيرة وأيضًا المد المشبع في المنفصل والمتصل، والسكت المتكرر على الهمز الذي قبله ساكن موصولاً كان أم مفصولاً، وهذا يعد عاملاً آخر للإقبال على رواية حفص .

٥- كثرة التصنيف في قراءة عاصم ونافع...،من ذلك حال عدد من علماء الشام ومصر مع قراءة

عاصم،وحال علماء الغرب الإسلامي مع قراءة نافع برواية ورش من طريق الأزرق.

٦- كما تعد أيضًا طباعة المصاحف برسم قراءة حفص؛ عاملاً أساسًا في انتشار هذه الرواية على مر العصور، اللهم إلا النذر من بلاد المغرب وإفريقيا؛ الذي بدأ يغزوها هذا الانتشار الواسع لمطبوعات المصاحف الجديدة.

٦- الإذاعات والمرئيات بمختلف أنواعها؛ من القديم إلى الحديث كان الغالب فيها إذاعة رواية حفص وهذا شيء ملحوظ ومشاهد.

٧- تدريس القرآن برواية حفص في المدارس والمعاهد والجامعات والكتاتيب في أغلب الأقطار.

٨- وثمة سبب لعله هو أقوى الأسباب وأهمها: أن الله عزَّ جلَّ قد وضع لهذه الرواية القبول والإقبال، لأسباب نعلمها أو لا نعلمها؛ فهي مع ذلك لا تنفي القراءات الأخرى وأهميتها، ولا تحط من شأنها فكلٌّ كلام رب العالمين، وتنزيل من حكيم حميد. والله تعالى أعلى وأعلم.[2]

(١) ينظر: الشاطبية: (٣).

(٢) ينظر الشبكة العنكبوتية على الرابط:

خاتمة المستشرق وقفات ونظرات

وكما بدأنا بوقفات في تمهيده فكذلك العمل في النهاية، وقفات في خاتمته

الوقفة الأولى: عن تطور تاريخ قراءات القرآن .

يقول آرثر: "هذا في رأي المستشرقين تاريخ تطور في قراءات القرآن من بدء المصاحف المختلفة في أيام الصحابة إلى المصحف الرسمي العثماني، ومن وقت حرية الاختيار في الروايات إلى أن اعتمد العلماء رواية رسمية من روايات الرواة الكثيرة المختلفة"[1].

يكرر هنا ما بدأ به من تاريخ تطور القرآن، وأكرر أن القرآن منذ نزلت أول سورة منه، إلى آخر آية نزلت منه، كان كتابًا محفوظا فى الصدور، متلوًّا بالألسنة، مسطورًا على الرقاع، ثم مجموعًا فى مصاحف، لم يخضع لعوامل محو وقرض، ولا آفات ضياع، وضعته الأمة فى أعينها وصدورها منذ نَزَلَ فلم يضل عنها أو يغب، ولم تضل هي عنه أو تغيب، تعرف مصادره وموارده، على مدى عمره الطويل، تعرفه كما تعرف أبناءها، بلا زيغ ولا اشتباه.

الوقفة الثانية: عن أطوار تاريخ تطور قراءات القرآن .

قال بعدها: "وقد حققوا أن نتيجة بحثهم[2] هذه أقرب فهما للأحاديث المختلفة والروايات المتناقضة وأكثر موافقة لأحوال القرون الأولى وحوادثها.

أقول: هذا منهج المستشرقين كما وضحته في التمهيد من هذا البحث[3] يعتمدون على الأحاديث المختلفة، والراويات المتناقضة، مجانبين الصواب، متجاهلين الأحاديث

http://www.bdr ..htm٩٥٦٤٣.net/vb/t١٣٠

(١) مقدمة كتاب المصاحف، تحقيق: آرثر جفري (١٠).

(٢) يقصد بذلك بحث الدراسات في أوربا وبالأخص كتاب نولدكي كما وضح في مقدمة قوله ينظر: (٤).

(٣) ينظر: ص١١ من هذا البحث.

الصحاح، وما كان قطعي الثبوت.

فالأمر في القرآن وقبوله كما وصل إلينا أمر عقدي لا يقبل عندنا نقاشاً ولا جدلا، ومن هنا كان البون شاسعاً والخلاف كبيراً بين دراسة المسلمين للقرآن ودراسة غير المسلمين له[1].

قال المستشرق: فبناء على هذا نرى ستة أطوار في تاريخ تطور قراءات القرآن وهي:

(١) طور المصاحف القديمة.

(٢) طور المصاحف العثمانية الّتي بعث بها للأمصار.

(٣) طور حرية الاختيار في القراءات.

(٤) طور تسلط السبعة أو العشرة.

(٥) طور الاختيار في روايات العشرة.

(٦) طور تعميم قراءة حفص وهو طور النسخ المطبوعة.[2]

أقول: هو يريد أن يثبت تطور القرآن، ولا أدل على ذلك من اختياره لفظا يوحي بذلك حيث سماه طور، وهو من الاختلاف على حالات شتى قال الخليل بن أحمد: "والأطوار: أي أصناف على حالات شتى، وطورا بعد طور أي تارة بعد تارة"[3]، والأولى أن يقال دور أو مرحلة.

ولي في كل طور — كما ذكر— وقفه.

١- قال: طور المصاحف القديمة: فهو سماها قديمة، ولم يكن هناك قدم ولا حديث في القرآن، ويقصد بهذه المرحلة —والله أعلم- مرحلة ما كان القرآن مكتوبا في العسب والرقاع والأكتاف وغيرها، أي ما كان في عهد رسول الله ﷺ وعهد أبي بكر وعمر ﷺ

(١) ينظر: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية: (١/ ٤٦).

(٢) مقدمة كتاب المصاحف، تحقيق: آرثر جفري (١٠).

(٣) ينظر: العين: (٧/ ٤٤٦).

وما كان مكتوبا في تلك الفترة هو ذاته المكتوب بين أيدينا.

٢- قال: طور المصاحف العثمانية الّتي بعث بها للأمصار: فكما أشرنا أن لفظ طور يوحي بالمغايرة بين الشيئين، ولم يكن من هذا شيء لأن عثمان نسخ ما كان في العهد السابق، ولم يكن مغايراً عنهما في شيء، ونطلق عليها مرحلة اقتضتها ظروف وملابسات دعت إليها، ولا أدل على ذلك من الروايات الصحيحة الواردة في هذا الشأن[1].

٣- قال: طور حرية الاختيار في القراءات: كرر هنا ما بدأ بقوله: اختيار القراء فيما بعد قاعدة قراءة أهل مدنهم[2]، وكأنه بهذا اللفظ —الاختيار— يوحي بأن الأمر كان عشوائياً وكانت هناك حرية مطّردة إلى حد الحرية الفردية في الاختيار، فلا سبيل إلى ما ذكر، والقراءات وحي نزل بها الوحي على رسول الله ﷺ.

٤- قال: طور تسلط السبعة أو العشرة: وأقول لقد سيطر وتسلط الوهم والخطأ على فكره تسلطاً ما كان ليرى الحق، وحتى لو رآه فسينكره ويخالفه —والعياذ بالله ممن اتبع هواه بغير علم وأضله الله— فالأمر ليس تسلطاً وإنما اشتهرت قراءة السبعة أو العشرة وهي قراءات متصلة السند روى كل واحد منهم قراءته على شيخه إلى أحد الصحابة إلى رسول الله ﷺ.

٥- قال: طور الاختيار في روايات العشرة. أقول اشتهار وليس اختيار وما كان ذلك إلا لموافقتها شروط القراءة الصحيحة، فكل قارئ قرأ على أئمة القراء قراءة نسبت إليه، واشتهر بها، ولم تترك القراءة بقراءة غيرهم.

٦- قال: طور تعميم قراءة حفص وهو طور النسخ المطبوعة، لم يكن هناك تعميم وإجبار بل كل توفيق واشتهار لقراءة حفص للأسباب التي ذكرتها سابقاً[3].

(١) ينظر: بالتفصيل كما في المطلب الثاني والثالث والرابع من هذا البحث.

(٢) ينظر: مقدمة كتاب المصاحف، تحقيق: آرثر جفري (٨)، وقد أوردت الرد حسب ما أدى إليه علمي كما في المطلب السادس من هذا البحث.

(٣) ينظر: المطلب السابع من هذا البحث.

الوقفة الأخيرة: توصيات آرثر جفري لمن بعده ، ومن كان على شاكلته .

يقول لمن بعده:(ولا يخفى على القارئ أن نتيجة هذه الأبحاث لا تتفق وما عليه المسلمون من تاريخ القرآن، ولا يهمنا في بحثنا هذا كونه حقا أو باطلا وإنّما المهم هو بيان ما وصلنا إليه بعد التحري والتنقيب).

أقول: الاعتراف بالحق فضيلة، ولعل قوله: لا يهمنا إن كان هذا حقاً أو باطلاً مما يدل دلالة واضحة على جهله، فما مهمة التحري والتنقيب إلا الوصول إلى الحق وإلى الحقيقة وهو بقوله هذا كالذي ينقض غزله —إن كان له غزل جيد— والله المستعان.

ثم هو يوصي من بعده ويقول: (فإذا يجب علينا: أن ندقق في دراسة كل طور من هذه الأطوار لتحل المسائل الكثيرة المتعلقة بكل واحد منها لا سيما الطور الأول والطور الثالث، وبالأخص لنجمع ما بقي من حروف المصاحف القديمة الّتي تقدمت مصحف عثمان، وأن نبحث عن رسم المصاحف العثمانية، وأن نجمع القراءات الّتي عرفت من زمن الاختيار، وأن نكشف عن النص الأصلي لكل قارئ من القرّاء السبعة أو العشرة، وأن نلم بجميع القراءات المنسوبة إلى رواة القرّاء العشرة. ثم بعد ذلك نسأل متى وكيف ولماذا اختير لكل منهم روايتان من روايات رواتهم الكثيرة، وكيف ظهرت رواية حفص على روايات أصحابه؟ ونظرة قصيرة في كتاب المصاحف لابن أبي داود تمكننا من الوصول إلى أول مراتب هذا البحث.[1]

أقول: إن كان يريد الصواب والحق فليرجع إلى ما كان صحيحاً لا لبس فيه ولا ريب مما أظهره علماء المسلمين في أمهات كتبهم المرجعية ليجد جواباً شافيا كافياً عمّ استفسره، وعمّ استفهمه، ثم إن الواجب علينا نحن المسلمين أن نحسم الخلاف في قضايا أساسية، ومسائل أصولية وأن نبت ونقطع بالمسائل التي يثيرها الأعداء من كل حدب وصوب، وأن يكون هناك موقفا صارماً لا مجال فيه لريب ولا عيب.

(١) مقدمة كتاب المصاحف، تحقيق: آرثر جفري: (١٠).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تُنال المكرمات، بمنته خصني بالدراسات، في أقاويل ومطاعن وشبهات، حاولت الرد عليها بالأدلة الواضحات، والبراهين القاطعات، ومع ذلك لم أستوف ما فيها من البيانات والدلالات، فعفوك اللهم عن السقطات والزلات.

وقبل طيّ آخر الصفحات، رأيت أن أسجل أهم الخلاصات:

١- أن شبهات المستشرق آرثر جفري متهافتة؛ لأنه انطلق من منطلق البُعد عن الحياد العلمي النزيه، فكانت شبهاته إما أنها تقوم على إغفال جانب الحفظ، أو إلقاء التُّهم جزافاً بغير دليل، أو إساءة فهم النص عمداً، أو جهله بقواعد قبول الخبر، أو تحريف النصوص حتى توافق هواه.

٢- المستشرق آرثر جفري شخص له إطلاعاته الواسعة والدقيقة في علوم القرآن ولا أدل على ذلك من تحقيقه كتاب المصاحف، ومقدمة تفسير ابن عطية، وكتاب المباني في نظم المعاني، وأسماهما مقدمتان في علوم القرآن.

٣- أنّ دراسة الشبهات تعطي الباحث قدرة قوية على سبر أقوال المستشرقين، وفهمها، ومناقشتها، وتحقيق صحيحها من سقيمها، وتكسب الباحث ملكة في النقد والتحليل وقد لا يتوفر هذا في دراسة كثير من الموضوعات.

٤- ليس من السهولة بمكان معرفة الشبهة التي يدسها الأعداء ؛ ولذا لا بد من بذل الجهد، واستفراغ الوسع بالتأمل الدقيق، والنظر العميق، ومجاهدة النفس على الوصول للحق.

٥- معرفة المطاعن والشبهات التي يثيرها أعداء الدين ، ولا شك أن هذا من أهم مقاصد هذا البحث وهذه الدراسة.

٦- القضايا الكبيرة في ديننا وشرعنا لا بد أن يبت فيها الأمر، ويحسم الخلاف بالقول المجمع عليه من أئمة وأعلام هذا الزمان حتى لا يتسلل أصحاب الهوى، وأعداء الدين إلى

الاختلافات وضعيف الروايات، ويطعنون في كتابنا وديننا وشرعنا.

٧- الاتجاهات المنحرفة في الدراسات القرآنية، تكثر في هذا الزمان مع عولمة هذا العالم، وتبرز في الفضائيات وشبكة المعلومات لذا كان لا بد من التصدي للهجمات الشرسة بالقول القاطع، والدليل الساطع، وسبر غور الكتابة عن الاتجاهات المنحرفة دفاعاً عن القرآن.

وفي الختام أرجو أن أكون أسهمت -ولو بجهد المقل- في الذب عن القرآن وعلومه، وألّا يكون عملي مخل. والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يُقبل على ما فيه من قصور وخلل، وأن ينفعني بما علمت.

والحمد لله حمدا كثيراً طيباً مباركاً فيه.. كما يحب ربنا ويرضى..

ثم الصلاة والسلام على الهادي البشير، والسراج المنير محمد ﷺ.

وعلى من سار على منهجه إلى يوم المصير.

والحمد لله رب العالمين.

فهارس المصادر والمراجع

أولاً: المراجع المطبوعة:

١- القرآن الكريم.

٢- الإتقان في علوم القرآن، تأليف: جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، دار الفكر -لبنان- ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، الطبعة: الأولى، تحقيق: سعيد المندوب.

٣- الاختلاف بين القراءات، أحمد البيلي، بيروت، دار الجيل -الخرطوم- ، الدار السودانية، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٤- الاستشراق والمستشرقون: سلسلة دعوة الحق برابطة العالم الإسلامي، العدد ٢٤، عام ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٥- الإستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، لمصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت -دمشق-، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ - ١٩٥٨م.

٦- الإسناد عند المحدثين الدلالة، التاريخ، المنهج مؤلفه: رضا أحمد صمدي (من الشاملة).

٧- البحر المحيط البحر المحيط في أصول الفقه، اسم المؤلف: بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، دار النشر: دار الكتب العلمية -لبنان/ بيروت- ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى، تحقيق: ضبط نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: د. محمد محمد تامر.

٨- التسهيل لعلوم التنزيل، اسم المؤلف: محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، دار النشر: دار الكتاب العربي - لبنان- ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، الطبعة: الرابعة.

٦- جمع القران في مراحله التاريخية من العصر النبوي إلى العصر الحديث، بحث تكميلي للحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن. تأليف: محمد شرعي أبو زيد.

١٠- جامع البيان عن تأويل عن آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر -بيروت- ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١١- الجامع الصحيح المختصر، اسم المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار النشر: دار ابن كثير، اليمامة -بيروت- ١٤٠٧ه -١٩٨٧م، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.

١٢- دراسات في علوم القرآن الكريم، فهد بن عبد الرحمن الرومي، الرياض، الطبعة الثالثة عشر، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

١٣- الرؤية الإستشراقية للأحرف السبعة، والقراءات القرآنية (عرض ونقد) د. رجب عبد المرضي عامر، من مطبوعات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ضمن ندوة القرآن الكريم والدراسات الإستشراقية، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

١٤- الشاطبية. (من الشاملة).

١٥- شرح النووي على صحيح مسلم صحيح مسلم بشرح النووي، اسم المؤلف: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي -بيروت- ١٣٩٢، الطبعة: الطبعة الثانية.

١٦- صحيح مسلم، اسم المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار النشر: دار إحياء التراث العربي -بيروت-، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

١٧- طبقات الحفاظ: طبقات الحفاظ، اسم المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل، دار النشر: دار الكتب العلمية -بيروت- ١٤٠٣ه، الطبعة: الأولى.

١٨- فتح الباري لابن حجر فتح الباري في شرح صحيح البخاري، اسم المؤلف: زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب، دار النشر: دار ابن الجوزي -السعودية/ الدمام- ١٤٢٢ه، الطبعة: الثانية، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد.

١٩- قواعد الترجيح عند المفسرين -دراسة نظرية تطبيقية- تأليف: حسين بن علي الحربي دار القاسم -الرياض- الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٢٠- كتاب العين، اسم المؤلف: الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار ومكتبة الهلال، تحقيق: د. مهدي المخزومي / د. إبراهيم السامرائي.

٢١- كتاب المصاحف، للحافظ أبي بكر بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: آرثر جفري، الطبعة: الأولى ١٩٣٦م-١٣٥٥هـ.

٢٢- كتاب المصاحف، للحافظ أبي بكر بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: د. محب الدين عبد السبحان واعظ، دار البشائر الإسلامية، -بيروت/ لبنان-، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٢٣- كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تأليف: أحمد عبدالحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية: تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي.

٢٤- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، اسم المؤلف: مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي، دار النشر: دار الكتب العلمية -بيروت- ١٤١٣ه-١٩٩٢م.

٢٥- لسان العرب لسان العرب، اسم المؤلف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار النشر: دار صادر- بيروت-، الطبعة: الأولى.

٢٦- ماذا يريد الغرب من القرآن، للدكتور عبد الراضي محمد عبد المحسن، مجلة البيان، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٢٧- مباحث في علوم القرآن، تأليف: صبحي الصالح، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة والعشرون كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٠م.

٢٨- مدخل إلى القرآن الكريم، عرض تاريخي وتحليل مقارن، للدكتور محمد عبد الله دراز، دار القلم ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

٢٩- المدخل إلى علم القراءات، الدكتور شعبان محمد إسماعيل، مكتبة سالم -مكة المكرمة- الطبعة الثانية: ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م.

٣٠- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لشهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، المعروف بأبي شامة المقدسي، دار الكتب العلمية، -بيروت/ لبنان-، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٣١- المستدرك على الصحيحين، اسم المؤلف: محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، دار النشر: دار الكتب العلمية -بيروت- ١٤١١هـ- ١٩٩٠م، الطبعة: الأولى، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

٣٢- المستشرقون والقرآن، للدكتور إسماعيل سالم عبد العال، دار الصحافة والنشر برابطة العالم الإسلامي: السنة التاسعة، العدد ١٠٤، عام ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٣٣- المستشرقون والقرآن الكريم، للدكتور محمد أمين حسن محمد بني عامر، دار الأمل للنشر والتوزيع، -الأردن/ إربد-، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤ م.

٣٤- معجم مقاييس اللغة، اسم المؤلف: أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، دار انشر: دار الجيل -بيروت/ لبنان- ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.

٣٥- المقنع في رسم مصاحف الامصار، لمؤلفه: أبو عمرو الداني (من الشاملة).

٣٦- مناهج المستشرقين البحثية في القرآن الكريم، حسن عزوزي.

٣٧- مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، القرآن والمستشرقون دكتور التهامي نقرة، مطبعة مكتب التربية العربي لدول الخليج، -الرياض- ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٣٨- مناهل العرفان في علوم القرآن، اسم المؤلف: محمد عبد العظيم الزرقاني، دار النشر: دار الفكر -لبنان- ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، الطبعة: الأولى.

٣٩- مواقف المستشرقين من جمع القرآن الكريم ورسمه وترتيبه، د. أبو بكر بن الطيب كافي، من مطبوعات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ضمن ندوة القرآن الكريم والدراسات الإستشراقية، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٤٠- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، اسم المؤلف: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت- ١٩٩٥م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبدالموجود.

٤١- النشر في القراءات العشر، المؤلف: ابن الجزري، أشرف على تصحيحه ومراجعته: علي محمد الضباع- شيخ عموم المقارئ: بالديار المصرية.

ثانياً: مواقع الشبكة العنكبوتية (الإنترنت):

١- ملتقى أهل التفسير، على الرابط: http://www.tafsir.org/vb

٢- منتديات على الروابط التالية:

.html٧٣٢٦٩http://montada.echoroukonline.com/archive/index.php/t-

http://www.bdr ..htm٩٥٦٤٣.net/vb/t١٣٠

٣- شبكة السنة النبوية وعلومها على الرابط : http://www.alssunnah.com

٤- الموسوعة الشاملة على الرابط : http://islamport.com

فهرس البحث

المقدمة ١٤٢٨
خطة البحث..... ١٤٣١
تمهيد: المستشرقون والقرآن ١٤٣٤
المطلب الأول: ترجمة المستشرق آرثر جفري..... ١٤٣٨
المطلب الثاني: نظرة عامة عن مقاصد المستشرق ١٤٤١
المبحث الثاني: عرض ونقد أقوال المستشرق في مقدمة المصاحف وفيه سبعة مطالب١٤٤٣
المطلب الأول: حول جمع القرآن ١٤٥٣
المطلب الثاني: حول مصاحف الصحابة ١٤٦٧
المطلب الثالث: حول اختلاف مصاحف الصحابة ١٤٧٢
المطلب الرابع: حول جمع عثمان بن عفان..... ١٤٧٤
المطلب الخامس: حول نشأة القراءات من خلو مصحف عثمان من النقط والشكل ١٤٨٠
المطلب السادس: حول القراء السبعة..... ١٤٨٦
المطلب السابع: حول انتشار قراءة حفص عن عاصم..... ١٤٩٠
فهارس المصادر والمراجع..... ١٤٩٩
فهرس البحث ١٥٠٢

❋ ❋ ❋